الجمهـورية الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبـية

وزارة التعليـــم العالـي و البحث العلمـي

جامعـة ابن خلـدون* تيـارت*

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الأوسط في العصر الوسيط

المغرب الأوسط من خلال كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار الحياة الثقافية انموذجا بجاية وتلمسان القرن 2هـ-9هـ/8م-15م

من اعداد الطالبين :

-رويسات عمر

- وذان هيبة

الأستاذ :حمادوش بولخراص	رئيسا
الأستاذ: عليلي محمد	مشرفا
الأستاذ:	مناقشا

1436ه-1437ه/2015م-2016م

شكر وعرفان

نحمد الله عز وجل أن وفقنا لإتمام هذا البحث

ثم نتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور عليلي محمد الذي قدم لنا يد المساعدة ،وبنصائحه وتوجيهاته القيمة .

ونتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة التاريخ الذين أشرفوا على تدريسنا ،متمنين لهم التوفيق في مشوارهم التعليمي .

ونتقدم بالشكر إلى كل الطاقم الإداري بقسم التاريخ وكذلك عمال المكتبة .

ونشكر كل من ساهم وساعد في إنجاز هذا البحث .

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من جعل الله رضاه في رضاهما

،والدي الكريمين ، متعهما الله بالصحة والعافية .

إلي إخوتي وأخواتي

إلى أقاربي و زملائي

عمر رويسات

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من جعل الله رضاه في رضاهما

،والدي الكريمين ، متعهما الله بالصحة والعافية .

إلي إخوتي وأخواتي

إلى أقاربي و زملائي

وذان هيبة

قائمة المختصرات

الرمز	الكلمة
تح	تحقيق
ط	طبعة
تر	ترجمة
مرا	مراجعة
د ت	دون تاريخ
د م ن	دون مكان النشر
مج	مجلد
ج	جزء

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

مقدمة

يعتبر التواجد الاسلامي ببلاد المغرب الاوسط احد اهم تواجد في تاريخ الدولة الاسلامية بصفة عامة وتاريخه بصفة خاصة وذلك بفضل ماجاءبه الفاتحون للبلاد من دين وفكر فقد تمسك اهل المنطقة به وتبعوا كل ما ينص عليه هذا الدين من امر بالمعروف والنهي عن المنكر.فهو الذي يحثهم على التطور والرقي في جميع الميادين خاصة الميدان الفكري حيث شهدت الدولة الاسلامية حركة التأليف في جميع المجالات سواء السياسيةالاقتصادية والاجتماعية وحتى الفكرية وظهور عدد كبير من الادباء والمفكرين والجغرافيين ومن بين هؤلاء الجغرافيين عبد المنعم الحميري والذي يعتبر احد اهم جغرافي زمانه فكان عالم بالبلدان والاخبار وكان ايضا متضلعا في الحديث والفقه والنحو فاهم مؤلف لديه هو الروض المعطار في خبر الاقطار بالرغم انه معجم جغرافي خاصة لبلاد المغرب الاوسط الا انه لم يحظى باهتمام من طرف الباحثين رغم ماتناوله المعجم من دراسة المدن والمراكز الحضارية ومعالمها الاثرية التي تشهد على العمق الحضاري لها.

وبهذا فان المغرب الاوسط يزخر بالعديد من الحواضر الثقافية التي لعبت دورا في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية .

ومن بين هذه الحواضر تطرقنا الى حاضرة بجاية الحمادية وكذلك تلمسان الزيانية ودرسنا كل جوانبها من الناحية التاريخية و الجغرافية وخاصة الجانب الفكري و العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة الثقافية فيها في هذه المذكرة الموسومة ب--- المغرب الاوسط من خلال الروض المعطار في خبر الاقطار (2 هجري _9هجري /8م_ 15م)

ومن هذا المنطلق تتضح لنا اهمية الموضوع كونه يسلط الضوء على الجانب الثقافي والحضاري لهذه الحواضر.

ومن هنا يطرح الموضوع اشكالية رئيسية تندرج تحتها مجموعة من التساؤلات

_ماهو الدور الحضاري الذي لعبته حواضر المغرب الاوسط ؟

_ماهي اهم المؤسسات التعليمية البارزة واهم العلوم التي كانت تدرس آنذاك؟ واساليب التدريس ؟ وان اختيارنا للموضوع تقف ورائه جملة من الاعتبارات اهمها

_ قلة اهتمام اغلب المؤرخين حول ثقافة المغرب الاوسط

_ الرغبة في التعريف بكتاب الروض المعطار وتوضيح قيمته التاريخية.

ولقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات في انجاز من العمل واهمها صعوبة التحكم في المادة العلمية وتصنيفها وترتيبها وذلك باستخراج كل ما يتعلق بحياة الحميري.

لمعالجة الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي الذي تضمن السرد والوصف وتخلله الاستنتاج في بعض الاحيان، والهدف السردي هو سرد الوقائع ووصف الاحداث والحواضر من الناحية الجغرافية والثقافية .

تم الاعتماد في هذه الدراسة على مجموعة المصادر و المراجع المكملة والتي تفاوتت قيمتها من حيث مدى احتوائها على المعلومات التي لها صلة بالموضوع

وكان من اهمها كتب التراجم والتي تعتبرفي هذا العمل مصدرا رئيسيا وهاما لاحتوائها العديد من المعلومات حول الجانب الثقافي ثم تليها من حيث الاهمية كتب التاريخ العام و المصادر الجغرافية.

1_ كتب التراجم

_الغبرينيأبو العباس احمد ابن احمد (ت704هجري/1304م)" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،والكتاب افادنا في معرفة اهم اسهامات العلماء واهم العلوم التي بروز فيها والحركة العلمية ببجاية الحمادية وازدهارها .

_ابن مريم عبدالله بن محمد بن محمد بن احمد "البستان في ذكر الاولياء و العلماء من تلمسان وكذلك كتاب "الديباج المذهب في معرفة المذهب"لابن فرحون فقد أفادونا في معرفة المعالم الثقافية و الحضارية وذلك من خلال تراجم العلماء والفقهاء بحضارة تلمسان الزيانية.

2-كتب التاريخ العام

_ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هجري /1406م)" العبروديوانالمبتدأوالخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الكبر"يتكون الكتاب من سبعة أجزاء،وقد أفادنا الجزء السادس والسابع كونه يتحدث عن المغرب الاوسط في الجانب الاجتماعي وذلك بتعريف القبائل البربرية التي سكنت المنطقة وكل مايتعلق بالتاريخ الحمادي والزياني.

_يحي ابن خلدون (ت780هجري /1387م)بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ويتحدث هذا الكتاب عن تلمسان والمغرب الاوسط منذ الفتح الاسلامي الى سنة 754هجري/1353م،كما وصف تلمسان واصل بني عبد الواد واشار الى ملوكهم.

3_المصادر الجغرافية

_الادريسي محمد الشريف (ت 547هجري/ 1159م) نزهة المشتاق في اختراق الافاق وهو من المصادر الجغرافية المهمة لكونه يتحدث عن اهم الطرق البرية البحرية والمراسي التي كانت بالمغرب الإسلامي،أفادنا في معرفة جغرافية كل حاضرة والتعريف ببعض المدن التي تطرقنا اليها.

_ عبد المنعم الحميري(ت900هجري/1459م)"الروض المعطار في خبر الاقطار ويعتبر مصدر جغرافي مهم حيث تحدث عن العالم الاسلامي ،خاصة بلاد المغرب ،افادنا في ذكر نبذة تاريخية عن مدينة بجاية الحمادية،وكذلك الطرق وكل مايتعلق بها من جبال ونبات وصناعة.

ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبدالله(626هجري/1228م)"معجم البلدان"يتكون هذا الصدر من خمسة اجزاء بها تعريف لمختلف المدن مرتبة حسب الحروف الابجدية، افادنا في التعريف عن بعض المناطق التي وردت في الموضوع .

ويضاف الى هذه المصادر مجموعة من المراجع التي استفدنا منها في هذه الدراسة من اهمها.

_**عبد الحميد حاجيات** "أبو حمو موسى الزياني وفيه تعريف السلطان الحاكم ابوحمو موسى الأول والثاني وتحدث عن حياتهما السياسية والثقافية في مدينة تلمسان.

_**عبد الحليم عويس** دولة بني حماد وكذلك رابح بونار المغرب العربي تاريخه وثقافته ،واسماعيل العربي "دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية" فكل هذه المؤلفات ساعدتنا في توضيح الحياة الفكرية وفهم دور الحكام والعلماء والعلوم.

_بشار قويدر"ابن خلدون ومنهجية كتابة التاريخ "وافادنا في التعريف بشخصية الحميري وتعريف معجمه .

-عبد القادر بوباية "مصادر ومراجع تاريخ المغرب الاوسط (الجزائر) خلال العصر الوسيط افادنا في معرفة شيوخ الحميري واهمية المعجم بالنسبة للمغرب الأوسط،إضافةإلى المجلات كمجلة الاصالة والمؤرخ.

_ولقد تم انزال العمل في مقدمة وفصل تمهيدي و فصلين وخاتمة.

اما المقدمة فقد جاءت كتمهيد للموضوع وذكر اهميته مع طرح الاشكالية وذكر اسباب اختيارنا للموضوع والصعوبات التي واجهتنا في انجازه اضافة الى المنهج الذي اعتمدنا عليه ونقد لبعض المصادر والمراجع التي اعانتنا في هذه الدراسة.

تمحورالفصل التمهيدي تحت عنوان الحميري وكتابه الروض المعطار في خبر الأقطار واندرج ضمنه ثلاث مباحث، اهتم المبحث الاول بحياة الحميري وذلك بذكر ترجمته ومولده والوظائف التي مارسها ومذهبه اضافة الى وفاته ،وخصص المبحث الثاني الى مكانته العلمية وهذا بالتطرق الى شيوخه ورحلاته واثاره إضافةإلىأقوالالمؤرخين حول شخصيته.

اما المحث الثالث فتم التطرق لتاريخ التأليفإضافةإلى النسخ المخطوطة للكتاب ،ودراسته دراسة تحليلية وذلك بتوضيح سبب التأليف ومحتوى الكتاب إضافة الى منهج الحميري واسلوبه في الترجمة والمصادر التي اعتمد عليها .

وخصص الفصل الثاني للحياة الثقافية في بجاية الحمادية وتضمن اربعة مباحث ،المبحث الاول لمحة تاريخية وجغرافية عن بجاية الحمادية وذلك بذكر جغرافية بجاية ولمحة تاريخية عنها

واختص المبحث الثاني بالحديث عن دور الحكام في بناء الحياة الفكرية ببجاية،أما البحث الثالث فتم التطرق فيهالى المراكز التعليمية بمدينة بجاية من مساجد وكتاتيب ومكتبات وزوايا،أما المبحث الرابع أهم العلوم والعلماء في حاضرة بجاية من علوم نقلية ولسانية واجتماعية وعقلية. وجاء الفصل الثالث بعنوان الحياة الثقافية بتلمسانالزيانية ،واحتوى على أربعة مباحث المبحث الاول تطرقنا فيه الى لمحة تاريخية وجغرافية عن حاضرة تلمسان الزيانية،وتناولنا في المبحث الثاني إلى دور الحكام في بناء الحياة الفكرية بتلمسان ،أما المبحث الثالث فقد خص المراكز التعليمية بحاضرة تلمسان من مساجد وكتاتيب ومعاهد ومكتبات وزوايا ،وفي المبحث الرابع تم التطرق الى اهم العلوم والعلماء في حاضرة تلمسان اولها العلوم النقلية من تفسير وحديث وفقه وتصوف، اما الثانية فهي العلوم اللسانية من نثر وشعر وثالثا العلوم الاجتماعية منها التاريخ ورابعا العلوم العقلية التي تحتوي على الرياضيات وعلم الفلك.

وفي الاخير ختمنا بحثنا بخاتمة شملت اهم ما توصلنا اليه من الاستنتاجات خلال هذ العمل بالإضافةإلى بعض الملاحق المساعدة في الدراسة.

الفصل
التمهيدي

المبحث الأول: حياة الحميري

1-ترجمة لعبد المنعم الحميري

ساق المترجمون لعبد المنعم الحميري ، اسمه ولقبه وكنيته ونسبه ، واتفقوا على ان اسمه هو عبد الله محمد بن محمد ، بن عبد الله ، بن عبد المنعم ،شمس الدين ، بن عبد النور[1]، وقيل أيضاأبو عبد الله الصنهاجي الحميري ، الأندلسي من أهل سبة [2].

وقد أكد نسبه إلى سبتة أبا القاسم الأنصاري حين ذكر انه مقبور بمقبرة المنارة وأنه من أهلها من قوله "قبر الشيخ اللغوي الحافظ الأنبل المتفنن في المعارف، أوحد زمانه في ذلك وإمام عصره أبي عبد الله ابن عبد المنعم الصنهاجي من أصل سبتة[3].

أ-مولده:

ولد الحميري بسبتة كبقية أفراد أسرته[4]، أما نسبة الحمير فتعود إلى حمير بن سبأ بن يشعب بن يعرب بن قحطان[5] وهو النسب الذي تدعي القبائل الصنهاجية الانتساب إليه[6]، ولم يتطرق ممن كتب سيرته إلى تاريخ ميلاده وبهذا نحن لا نمتلك سنة مولده.

---

[1]-أعناطيوس بوليا نوفتش: تاريخ الادب الجغرافي الغربي، تح: صلاح الدين، ج1، عثمان هاشم، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1957م.ص447،الحميري عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت، ط1، 1975 ،(مقدمة التحقيق) ،ص ،رمز ، ز.

[2]-ابن الخطيب لسان الدين ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج3 ،تح : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1، 1975، ص134. البغدادي اسماعيل باشا ، هدية العارفين في اسماء المؤلفين واثار المصنفين ،ج2 ،دار احياء العربي ، بيروت ، د.ط، 1955، ص 217.

3-الحميري: المصدر نفسه ،(مقدمة التحقيق) ،ص رمز ، ز

[4] -اعناطيوس بوليا نوفتش: المصدر السابق، ص 449.

[5] -ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تح وتع ،عبد السلام محمد هارون دار المعرفة ، القاهرة ، ط6، 1999، ص 449.

[6] -عبد القادر بوباية: مصادر ومراجع تاريخ المغرب الاوسط (الجزائر) خلال العصر الوسيط،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،د.ط ،2014 ص 186.

ب–وظائفه:

لم يوضح الحميري وكمن ترجم له عن صيغة الاعمال والمناصب التي تولاها، إلا أنه جاء في بعض المصادر أنه كان يعمل في توثيق العقود حيث ذكر اغناطيوس بوليا نوفتش "... وفي احدى مخطوطات الكتاب أضيف إلى اسم المؤلف نعت عدل مما يشير إلى أنه كان يعمل في توثيق العقود (Notary)[1] كما هو الحال بالنسبة إلى علي الدفاع حيث ذكر أنه حمل رد خاص الزمن بوظيفة توثيق العقود بسبتة، وقد عرف بين أصحابه بأنه بليغ لبق رفيق الجاني، يحب الخير للجميع والصنابقي محل تقدير جميع زملائه[2].

ج– مذهبه:

لم تحدثنا المصادر التاريخية شيئا عن مذهب الحميري، كما أننا لا نملك نصوصا توضح شيئا عن اعتقاده، والغالب أنه تمذهب بما غلب حينها على بلاد المغرب الأوسط من التمسك بعقيدة السنة، فقد عاش في بيئة سنية لأننا لا نجد ضمن شيوخه من اشتهر بخلاف السنة فكان كل من شيوخه يقرأالأصول والفرائض[3]، والآخر شيخ النحاة والقراء[4]، وما يؤكد قولنا هذا هو كتاب الروض المعطار حيث جاء فيه ذكر لصفات الحميري خاصة من الجانب الديني وهي "فقد كان رجل على جانب غير قليل من التدين وفي آخر عمره كان كثير القرب والأوراد معروفا بالصلاح بين معاصريه، سليم الصدر كما يمكن أن يتصوره من يقرا معجمه الروض المعطار في خبر الأقطار، مهما بإعراب كلامه، وفي هذا من المشقة عليه وعلى معاصريه ما فيه، فهو من ناحية التقوى لا يدع أحدا من الصحابة دون أن يقرن اسمه ب"رضي الله

[1]– اعناطيوس بوليا نوفتش: المصدر نفسه، ص 447.

[2]–علي الدفاع: رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والاسلامية ،مكتبة التوبة ، المملكة العربية السعودية ،د.ط 1410هـ، ص ص 227-228.

[3]–ابن فرحون ابراهيم على : الديباج المذهب ،ج2 ، تح ،على عمر ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،ط1 ،1423هـ ،ص139

[4]–مجهول: بلغة الامنية و مقصد اللبيب فيمن كان في سبتة في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب ،تح :عبد الوهاب ابن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ،د.ط ،1984 ، ص21,

عنه" ولو مرّ في الصفحة عدة مرات كما أنه يجب أن يقف عند أمجاد المسلمين الأوائل ولهذا نجده مغرما بنقل أخبار الفتوح[1].

د–وفاته:

توفي عبد المنعم الحميري في الموتان أي الوباء الذي استأصل رجال الوفد عندما انصرفوا عن باب السلطان ملك المغرب بأجواز تازه[2]، ودفن بمقبرة المنارةبتبسة[3]،إلا أن هاته المصادر لم تضبط تاريخ وفاة الحميري كل منها رجح تاريخ هناك من يقول 726هـ/1326م[4]، أو بعد هذه السنة 727هـ[5] وكذلك 750هـ/1349م[6] وأيضا 866هـ/1461م[7]، إلا أننا نرجح تاريخ وفاته كانت سنة 900هـ[8].

المبحث الثاني: مكانته العلمية

1– رحلاته وشيوخه:

أ–شيوخه:

تلقى عبد المنعم الحميري علومه على يد نخبة من العلماء الأجلاء فأخذ ببلده أبي إسحاق الغافقي ولازم أبا القاسم ابن الشاط فكان لشيوخه مكانة كبيرة.

–أبو عبد الله الغافقي:

شيخ النحاة والقراء بسبتة، فقد كان يتقن سيبويه وصنف كتابا في قراءة نافع وآخر في شرح الجمل[9]، أستاذ المدرسة القديمة مدرسة الشيخ المحدث الرواية أبي الحسن الشاري[10].

---

[1]–الحميري: المصدر السابق ، (مقدمة التحقق) ، ص ،رمز ، ط

[2]–ابن الحطيب: المصدر السابق ، ص134، تازه: بلدة مغربية تقع شمال شرق فاس، أنظر الإحاطة، المصدر نفسه، ص 134.

[3]–مجهول: المصدر السابق ، ص 24، أنظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 134.

[4]–بشار قويدر: ابن خلدون ومنهجية كتابة التاريخ، دار البصمات، الجزائر، ط1، 2014م، ص ر207.

[5]–ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، دار إحياء التراث الغربي، بيروت، ص 151.

[6]–مجهول، المصدر نفسه ، ص 245.

[7]–آنخلجنثالتبالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 312.

[8]–الحميري: الروض المعطار (مقدمة التحقيق)، ص رمز ل. البغدادي: هدية العارفين، ج2، ص 217.

[9]–الحميري ،المصدر السابق، مقدمة التحقيق ، ص رمز ط.

[10]–مجهول، المصدرالسابق، ص 12.

-أبا القاسم بن الشاط: (643-723هـ/1225-1323م)[1]

هو القاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري السبتي المعروف بابن الشاط، والشاط اسم لجده وكان رجلا طواط فجرى عليه هذا الاسم[2]، ولد في سبتة، أخذ عن عدد من الشيوخ من أبرزهم العلامة أبو الحسن بن أبي الربيع[3] الذي لازمه وكان له النصيب الأكبر في تكوين شخصيته العلمية، قرأ معظم عمره بمدرسة بسبتة الأصول والفرائض[4] ومن مؤلفاته فهرسة حافلة، توفي في آخر عام 723هـ[5].

ب- رحلاته:

علي الرغم من الظروف السياسية المتردية ، التي كانت عاجه في الأندلس ، إلا أن عبد المنعم الحميري استطاع وبكل جدارة أن يقدم لنا معرف جغرافية ممتازة ،مستندا على رحلاته ومشاهداته الشخصية والمصادر الموثوق بها ، ولا يخفى على القارئ أن علم الجغرافيا لا يتطور إلا في جو يسوده الهدوء ، ولكن الحميري تحدى كل هذه المسلمات والبديهيات فقدم للقارئ ، وفي جميع أنحاء العالم معجمه الذي أدهش علما العصر الحديث[6].

2- آثـاره:

أ-مؤلفاته:

عند الإمعان في حياة الحميري ، والعلوم التي أخذها عن شيوخه نراه مشاركا في عدة علوم ، إلا أن المصادر التي ترجمت له لم تذكر سوى مؤلفين وهو الروض المعطار في خبر الأقطار والاخر جزيرة الاندلس[7].

---

[1] -ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 259، أنظر بن فرحون: المصدر السابق ، ج2، ص 139.

[2] -ابن الخطيب: المصدر نفسه ، ص 251.

[3] -أبو الحسن بن أبي الربيع (599-688هـ/1203-1289م) هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو الحسين بن أبي الربيع القريشي، ينظر :قاسم بن عبد الله بن الشاط، برنامج شيوخ ابن ابي الربيع السبتي (599-688هـ) ، دار الامان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2011 ، ص 8 .

[4] - ابن فرحون ، المصدر السابق، ص 25.

[5] -قاسم بن الشاط: المصدر السابق، ص 10.

[6] -علي بن عبد الله الدفاع: المرجع السابق ، ص 230.

[7] -الزركلي : المصدر السابق ، ص 53 ،اغناطيوس يوليانو فيتش ، المصدر السابق ، ص 447.

3-أقوال المؤرخين فيه:

حظي عبد المنعم الحميري بمكانة مرموقة بين معاصريه، حيث نال ومفاخر أهل عصره ومترجميه فأصبح ممن يشار عليه، بالتفوق والبراعة في لغة الشطرنج، فكانت له منزلة بين معاصريه وهذا ما ذكره ممن ترجموا له ومن بينهم:

-قال علي بن عبد الله في التعريف به[1]: "كان أبو الله الحميري اجتماعيا يكره الوحدة والانزواء، لذا اشتهر بلعبة الشطرنج حتى صار يشار إليه بالبنان، وهذه الهواية لم تحد من إحاطته النادرة النظير في المكتبة العربية في حفلي التاريخ والجغرافيا، ويعتبر بحق من كبار المفكرين في علم الجغرافية الوصفية ذاع صيت عبد المنعم الحميري في فن المعاجم، فهو الذي جدد وعين معالم هذا العلم المفيدة، فالحميري يمثل قمة من القمم التي وصل إليها علماء العرب والمسلمين في التأليف الجغرافي، ويتضح ذلك جليا في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار الذي صار من أهم المصدر للباحثين في كل من تاريخ وجغرافية الأندلس[2].

-حاجي خليفة: قال: "أنه عالم في السير والأخبار في كتاب الروض المعطار لب كتب عديدة[3].

-عمر فروخ: "كان عبد المنعم الحميري عالما بالبلدان والسير والأخبار"[4].

-أما ابن الخطيب فقد ذكر تميزه وتفوقه بين معاصريه حيث قال: "كان متضلعا في القراءة والحفظ واللغة ومنفردا في هذه الشؤون حتى أصبح أوحد زمانه في ذلك وإمام عصره"[5].

-أما كتاب روض المعطار فكان فيه التعريف به وذكر خصاله "كان رحمه الله رجل صدق، طيب اللهجة، سليم الصدر، تام الرجولة، صالحا عبدا كثير القرب والاوراد في آخر حاله، صادق اللسان، قرأ كبيرا وسنه ينيف على سبع وعشرين فنشأ، أهل الدؤوب، والسابقة، وكان من صدور الحفاظ، لم

[1] -علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 228.

[2] -علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 228..

[3] -حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، 1941، ص 920.

[4] -عمر فروخ، المرجع السابق، ص 652.

[5] -ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 134.

يستظهر أحد في زمانه من اللغة ما استظهره فكان يستظهر كتاب التاج للجوهري وغيره آية تتلى ومثالا يضرب، قائما على كتاب سيبويه سيره بلفظه، اختبره الفاسيون في ذلك غيرها مرة، طبقه في الشطرنج يلعبها محجوبا مشاركا الأصول آخذا في العلوم العقلية مع الملازمة للسنة يعرب أبدا كلامه ويزنه[1].

-أما الزركلي فقد قال: "عالم بالبلدان والسير والأخبار"[2].

-أما صاالحمارنة فقد نقل ما قاله إحسان عباس عن الحميري عن شدة حرصه في انكار ذاته حيث قال "لا نجد إنسانا سنديدا الحرص على انكار ذاته كما نجد الحميري وكأنه يقول بلسان الحال: اريد أن أرتب معجما جغرافيا معتمدا في ذلك على الانتقاء على عدد معين من المصادر دون ان يكون لي أي راي ذاتي أو عرض لتجربته خاصة[3].

المبحث الثالث: كتاب الروض المعطار وقيمته التاريخية

1-التعريف بالكتاب:

يعتبر كتاب الروض المعطار من أهم المعاجم الجغرافية، فهو عبارة عن معجم لبعض البلدان التي كانت معروفة في عهده ورتبها ترتيبا أبجديا كما أنه تحدث عن تاريخها وميزاتها وكذلك تطرق إلى المواضع الجغرافية الهامة والتي توجد بالعدوتين المغربية والأندلسية فبالتالي يمكن اعتبار هذا المعجم معجما تاريخيا وجغرافيا في نفس الوقت.

أ-تاريخ تأليف الكتاب:

لم تنشر المصادر التي اعتمدناها والتي ترجمت له إلى تاريخ شروع عبد المنعم الحميري في كتابة معجمه، وحتى للم يذكر ذلك وبهذا ليس هناك أي معلومة تشير إلى ذلك.

إلى هناك من تطرق إلى تاريخ ومكان إتمام الحميري لمعجمه حيث تذكر مجلة المؤرخ[4] أن تاريخ إنجاز المعجم أو معظمه كان مع نهاية القرن السابع أو بداية القرن الثامن هجري[1]، أن للمعروف لدى الجغرافيين في العالم

[1]-الحميري (مقدمة التحقيق)، ص رمز ح.

[2]-الزركلي: المصدر السابق، ص 53.

[3]-صالح الحمارنة: **(من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الأقطار)،مجلة المؤرخ**، ع7، الأردن، ص 175.

[4]-صالح الحمارنة، المرجع السابق، ص 178.

أن عبد المنعم الحميري أكمل معجمه في مكة المكرمة عندما ذهب لأداء فريضة الحج سنة 866هـ[2]، فقد وجد بروفينسال في ختام إحدى النسخ التي اعتمد عليها من نسخ الروض المعطار هذه العبارة "هذا آخر الجزء الثاني من الروض المعطار في خبر الأقطار للشيخ الفقيه العدل أبي عبد الله محمد بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري،رحمة الله عليه وكان تمام جميع الكتاب في صبح يوم الجمعة السابع عشر من شهر صفر الخير أحد شهور ست وستين وثمان مائة ساحل جدة المعمور...".

ب- النسخ المخطوطة للكتاب:

توجد مخطوطتين كاملتين نسخة موجودة في مكتبة بيرم باشا التابعة لنور عثمانية وتحمل رقم 44، والنسخة الأخرى كانت ملك المرحوم الشيخ نصيف بجدة، وهما المخطوطتين اللتين اعتمدا عليهما إحسان عباس[3].

وفي مجلة المؤرخ العربي[4] تتم الإشارة إلى وجود نسخة أخرى ناقصة لكتاب الروض المعطار لم يشر إليها الأستاذ إحسان عباس تنتهي عند حرف (ز) ومكتوبة بالخط النسخي على الطريقة المغربية وهذه المخطوطة وجدت في مدينة مكناس وهي الآداب في معهد الدراسات الإسلامية في جامعة باريس، كما أشار بروفينسال، في مقدمته صفة جزيرة الاندلس إلى وجود عدة نسخ يظهر أنها اتلفت أثناء الحرب العالمية الثانية.

ويذكر التنبكتي[5] ان ليفي بروفينسال جمع مادته من مخطوطات مختلفة ومتفرقة في مكتبات العالم، ولكنه استفاد من مخطوط يوجد في مكتبة الجامع الكبير بمدينة فاس.

لقد ذكر المنوبي[6] أهمية هذا الكتاب فقال: "...وتكمن أهمية الكتاب في احتفاظه بالمعلومات التي يستقيها المؤلف من كتب ضائعة أو من مشاهداته وارتساماته التي يدونها.

---

[1]-علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 229.

[2]-الزركلي، المصدر السابق، ص 53.

[3]-الحميري (مقدمة التحقيق)، ص رمز ق.

[4]-صالح الحمارنة،المرجع السابق، ص 189.

[5]-علي بن عبد الدفاع، المرجع السابق، ص 230.

[6]-المنوبي محمد: المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1404هـ/1983م، ج1، ص 80.

وكذلك عبد القادر بوباية قال[1]: "يعتبر كتاب الروض المعطار من أحسن الكتب الجغرافية التي ألفها المغاربة حيث تطرق مؤلفه إلى جميع المواضع الجغرافية الهامة التي توجد بالعدوتين المغربية والأندلسية والتي يرد ذكرها في كتب المؤلفين الأندلسيين إضافة إلى أن يورد جملة من الأخبار التاريخية المتعلقة بهذه المدن، وبالتالي يمكن اعتباره كتابا جغرافيا وتاريخيا في الوقت نفسه.

كلما ذكر أهميته بالنسبة للمغرب الأوسط سواء من الناحية الاقتصادية والناحية الاجتماعية وكذلك الناحية الثقافية.

أما آنخلجينا ليث فقد ذكر انه من أحسن المراجع التي يعتمد عليها حيث قال[2]: "أصبح هذا الكتاب الآن من خبر المراجع التي يعتمد عليها الباحث في تاريخ الأندلس وجغرافيتها".

ويقول علي بن عبد الله الدفاع[3]: "إن المشهود لابن عبد المنعم الحميري أنه قدم معلومات جغرافية فريدة في جملتها ولكنه ركز على بلاد أوروبا فقدم مادة متناهية في الدقة حتى صار معجمه الروض المعطار في خبر الأقطار مرجعا هاما للباحثين في علمي التاريخ والجغرافية في جميع أصقاع العالم المنحصر.

ويذكر حسين مؤنس قيمة المعجم ويقول[4]: "وهما يزيد معجمه أنه يقتصر على المدن والأقطار بل تشتمل بعض المحيطات والبحار والجزر، وما إليها من الأعلام الجغرافية، وأورد هذه المعلومات جغرافية تدل على فهم وتصور علمين صحيحين.

2 –دراسة تحليلية لكتاب الروض العطار:

أ–دوافع تأليف الكتاب:

إن كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار هو من أهم المصنفات الجغرافية التي ألفها المغاربة حيث يعتبر من المصادر الهامة المتعلقة بتاريخ المغرب والأندلس، وقد وضح الحميري[5] سبب تأليفه لهذا الكتاب كما جاء

[1]–عبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص 187.

[2]–انجل جينالیث: المرجع السابق، ص 319.

[3]–علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 228.

[4]–حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 552.

[5]–الحميري، المصدر السابق، ص 01.

في مقدمته وهو ذكر المواضع المشهورة عند الناس من العرب والعجمية والأصقاع التي تعلقت بها قصة وكان في ذكرها فائدة أو كلام فيه حكمة، او لها خبر طريف أو معنى يستملح أو يستعرب ويحسن ايراده، وقد رتبه على حروف المعجم لما في ذلك من الاحماص المرغوب فيها ولما فيه سرعة وليسهل على الدارس الكشف على المكان الذي يبحث عنه، ومعنى ذلك هو انه أراد أن يكون معجمه معجما جغرافيا تاريخيا، جغرافيا يصف الأقطار وما تتميز به، وتاريخيا بذكر الأخبار والوقائع المتصلة لتلك المدن.

ب–عنوان الكتاب وموضوعه:

كان اختيار الحميري لعنوان الروض المعطار في خبر الأقطار اختيار موفقا فالعنوان كان يعبر بدقة عن المادة العلمية التي يحتوي عليها المعجم وتتجلى قيمة المعجم في التنوع في ذكر الأماكن وما يميزها مع ذكر الوقائع المتصلة بها، ويقول آنخلانجالنث "أنه يضم معظم الأعلام الجغرافية الهامة التي يرد ذكرها في كتب الأندلسيين[1].

كما توفر الكتاب على بعض النتف التاريخية التي تتعلق ببناء المدن، ومن قام ببنائها واهم الحروب الواقعة بها، إضافة إلى اعتنائه بالنواحي الثقافية، وهذا من خلال ترجمة أعداد كبيرة من رحلات العلم بهذا المعجم الجغرافي، وذكر انتاجاتهم في ميادين معرفية شتى وبخاصة منها الميدان الأدبي من نثر وشعر[2].

ج–محتويات الكتاب:

استهل عبد المنعم الحميري كتابه بتعريف البلدان وذكر حيزها الجغرافي وحتى ذكر من كان بها من شاعر أو أديب أو حاكم كما أنه يتطرق على تعريفه بشكل جيد يغنيك من البحث في مصادر أخرى.

أما قيمته العلمية فهي أشمل سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية لأنه زودونا بمعلومات هامة من كلتا الناحيتين فمن خلاله عرفنا العناصر السكانية التي كانت متواجدة في عصره، كما هو للناحية الاقتصادية وما توفره المغرب الأوسط من أنواع المحاصيل الزراعية وكذلك الإنتاج الحيواني وحتى المعادن التي كانت تحتويها أرضه.

[1]–آنخلجنثالت: المرجع السابق، ص 320.

[2]–عبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص 188.

د–منهجه وأسلوبه في الترجمة:

تمتع الحميري بدرجة كبيرة من الحس التاريخي والجغرافي والإدراك الشديد، الواعي لما يقدمه ويعرضه أثناء تعريفه للأماكن وكذلك ترجمته للأعلام.

لقد كان الحميري وفيا في كتاباته حيث يصف البلدان وصفا دقيقا بمبانيها وآثارها[1]، فقد وصف كل قطر بالتدقيق، حيث يذكر مدينة ما مع المسافة التي بينها وبين مدينة أخرى، وما يجاورها[2]،(شنترة ، شهد ،روج)،كما لا يفوته تفسير معنى المدينة، ويربطها بحادثة معينة أو قصة أو مؤرخ أو محدث ولد أو من مات هناك(ثهلان ، مجدوبية)[3]، وذكر طريقة نطق الكلمة حسب الحروف والحركات(آمل ، أريس ، ذمار)[4]، كما اهتم بذكر أسماء البحار والانهار والجبال والأودية والقرى (البحر المظلم ،جبل الشرف ،قرية تاجراون)[5]،ومما يزيد معجمه قيمة أنه لم يقتصر على المدن أو الأقطار بل شمل بعض المحيطات والبحار والجزر وما إليها من الأعلام الجغرافية[6] ،واهتم بذكر أنواع المحاصيل الزراعية التي يتوفر عليها المغرب الأوسط ويقوم بحصرها الواحدة تلو الأخرى[7]، وركز على ذكر أشهر المحاصيل الزراعية مثل الزيتون، الزعفران، والأشجار المثمرة مثل العنب والتين وغيرها[8].

وقد اهتم بالناحية الاجتماعية فقد قام بتحديد العناصر السكانية التي تقطن المدن وأنواع الألبسة التي يرتديها هؤلاء السكان وذلك حسب الطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها كل فرد[9].

---

[1]–الحميري، المصدر السابق، ص 11.

[2]–المصدر نفسه، ص 347، ص 350.

[3]–المصدر نفسه، ص 151، ص 522.

[4]–المصدر نفسه ، ص 05، ذمار، ص 256.

[5]–البحر المظلم، ص 166، جبل الشرق، ص 59، قرية تاجراون، ص 74.

[6]–آنخلبالنثيا، المرجع السابق، ص 322.

[7]–عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 187.

[8]–الحميري : المصدر السابق ، ص 43،

[9]–عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 188.

هـ–شخصيته وأسلوبه:

لم يبتعد الحميري في كتبه الروض المعطار عن تعريف الأقطار التي تبنى عليها المعاجم ، وبتصفح الكتاب يتضح لنا بعض الخصائص التي ميزت هذا المعجم فقد بدأ كتابه بمقدمة ومن خلالها أراد تحقيق هدفين وهما أن يكون المكان مشهورا وان يكون به قصة او حكمة او خبر طريف أو معنى مستملح مستعرب والمقدمة احتوت على ألفاظ سجعية حيث ذكر اغناطيوس بوليا نوفتش "أما هدف الكتاب ؟؟؟ وجميع طابع المعجم فإنه ينعكس بصورة واضحة في مقدمته التي بدأها بالاستهلال البديعي[1]، وما يلاحظ أن الحميري في ذكره للأقطار أعطى تعريفا شاملا لها حيث قام بذكر المدينة ومعنى اسمها أي قام بتفسير دقيق واهتم كذلك بذكر الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لها، ومثال ذلك الأندلس[2]وما يلاحظ يلاحظ كذلك إن كل من كان بتلك المدينة أو له علاقة بها يحظى بترجمة خاصة من الحميري حيث يقوم بتعريفه مع ذكر نسبه وأعماله ومن بين هؤلاء محمد بن أحمد الأموي[3]، كما استعمل في كتابه أسلوبا تميز تميز بالقوة حيث كانت لغته سلسلة يسهل على القارئ فهمها، فهناك بعض المصادر تطرقت إلى أسلوب الحميري، وقالت "والحميري يعني ذلك على نحو فريد وفي أسلوب عربي رسين"[4]. وعمد على الاستشهاد بالآيات القرآنية[5] والأحاديث النبوية الشريفة وذلك من أجل التدليل على قصة ما مثل لوط، لوط، يثرب، ويعقوب[6].

وأما عن الأحاديث النبوية فقد ذكرت في مواضع كثيرة في معجمه، مثال ذلك قوله عن أحد وما ذكره الرسول "ص" "هذا جبل نحبه ويحبنا"[7].وكذلك في موضع بكة وهي مكة خاصة قصة هدم الكعبة وإعادة

[1]–اغناطيوس بوليا نوفتش، المصدر السابق، ص 447.

[2]– الحميري، صفة جزيرة الأندلس، تح: ليفيبروفينسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م، ص 01.

[3]–محمد بن احمد الاموي أبو المظفر الإيبوردي أوحد عصره في معرفة اللغة والأنساب وغير ذلك له تصانيف كثيرة، بنظر الحميري، المصدر السابق، ص 07.

[4]–عمر رضا فروخ، المرجع السابق، ص 653، وكذلك انجل انجالنث، المصدر السابق، ص 312.

[6]–أغناطيوس بوليا نوفتش، المصدر السابق، ص 449.

[7]–الحميري، المصدر السابق، ص 13، ينظر، أيضا صحيح البخاري، ص 851.

وإعادة بنائها حيث روي عن النبي "ص" أنه قال "يخرب الكعبة ذو السويقيتين من الحبشة"[1] وذكر حديث النبي "ص" في تهودة من بلاد الزاب حيث قال "سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم كنوا ب أهل بدر وأهل أحد وأنهم ما بدلوا حتى ماتوا[2]، وكذلك يسرد لنا الحميري قصة قتل حمزة حين قتله وحشي حيث وقف النبي على حمزة مثل به فقال النبي "لولا جزع البناء لتركه حتى يحشر في حواصل الطير والبطون السباع فيكون أعظم الأجرة وأفضل لدرجته في الجنة[3]، ثم بكى حتى اعرو رقت عيناه واخضلت لحيته من دموعه أبكى الناس لبكائه فهبط جبريل ونزلت الآية الكريمة "وللآخرة خير لك من الأولى"[4] والعاقبة للمتقين"[5].

وكان للشعر نصيب في كتابات الحميري حيث استخدم الشعر في عدة مواضع ولأعرض عديدة كالمدح والهجاء والتحريض ومثال ذلك ما قاله حسان بن ثابت يمدح[6] آل جفنة

لله در عصابة نادمتهم يوما يحلق في الزمان الأول

يغيشون أخي ما نهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل[7]

أما في الهجاء[8] "ما قاله أحمد بن عبد السلام الجراوي[9]

يا ابن السبيل إذا مررت بنادلي لا تنزلق على بن عغجوم

يا ليتني من غيرهم ولو أنني من أهل فاس من بني اللمجوم

[1]-الحميري، المصدر السابق، ص 13.

[2]-الحميري، المصدر نفسه، ص 142.

[3]-الحميري، المصدر نفسه، ص 13.

[4]-القرآن الكريم، سورة الضحى، الآية 40.

[5]-القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 83.

[6]-الحميري، المصدر السابق، ص 19، 49.

[7]-الحميري، المصدر نفسه، ص 89.

[8]-الحميري، المصدر نفسه ، ص 127.

[9]-أحمد بن عبد السلام الجراوي، شاعر من بلاد المغرب، أنظر ابن خلكان، الوفيات، ج7، ص 136.

كما استخدم الحميري الخطب في عدة مواضع ومن اهم الخطب التي ذكرها هي خطبة خالد بن الوليد[1] وعتبة بن غزاوة[2]، وكذلك خطبة عمر بن الخطاب[3].

استعمل الحميري في عرضه لمعظم تراجمه أسلوبا تميز بالإيجاز والاختصار حيث صنف معجمه ورتبه على حروف وحاول أن يذكر من البلدان ما هو مشهورا ومتصلا بحادثة تاريخية أو قصة وهذا أما صرح به في مقدمته.

إلا أنه لم يلتزم بالإيجاز لم يستطع ان يتحكم فيما دائما وفي مرات أحسن ابن عبد المنعم أنه تجاوز حدود الإيجاز فاعتذر عن ذلك (كما فعل في معركة الزلاقة والأندلس، ولكنه لم يحاول أن يوجز حين تحدث عن إرم والأهرام وسرد بعض الفتوحات في صدر الإسلام أو حين تحدث عن حروب البسوس ومعركة ذي قار، كما أن قاعدة الإيجاز احتلت عنده الأسباب وهي عدم سبكه المادة المنقولة من مصادر جغرافية مختلفة، وإنما يوردها تباعا وقد يكون المنقول عن البكري مثلا، تكرارا بأسلوب آخر لما سبق أن نقله عن الإدريسي أو عن الاستبصار وكذلك تكراره المعلومات الواحدة في مادتين مختلفتين فما يصلح أن يكتب في مادة "الدامغتان" قد يعاد نصا في مادة "قومين" وفي الأخير تكراره ذكر الموضع الواحد لأن اسم البلد في شكلين مختلفين مثل: لياج، الياج، طرابنش، اطرابنش، وشقة، شكة[4].

و–مصادره:

يلاحظ أن الحميري من خلال كتابه الروض المعطاراعتمد على مصنفات تاريخية وجغرافية وأدبية وإن يصرح باسم الذي اعتمد عليه غلا في القليل النادر وإذ انتقل من اقتباس إلى آخر ابتدأ بلفظه: قالوا[5]، فقد اعتمد بشكل كبير على كتاب "نزهة المشتاق" للإدريسي[6]، حيث سيطر على كتابه سيطرة بالغة،

[1]–الحميري، المصدر السابق، ص 611.

[2]–الحميري، المصدر نفسه، ص 442.

[3]–الحميري، المصدر السابق، ص 442 .

[4]–الحميري، المصدر السابق، مقدمة التحقيق ، ص رمز ن.

[5]–الحميري، المصدر السابق، مقدمة التحقيق،ص رمز س.

[6]–ا علي بن عبد الله الدفاع، المصدر السبق ،ص 229،

وكذلك على كتاب البكري "المسالك والممالك"، ومعجم ما استعجم"[1]، ونجده في غالب الأحيان يرتاح على كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار[2]، وكذلك رحلة ابن جبير غير ان الحميري لم يذكر مؤلف هذه الرحلة أبدا وإنما أشار إليه مرة بقوله "قال بعضهم ومرة ثانية بأنه أحد الأدباء.

أما المصادر التاريخية فلم تقتصر فقط على مؤلفات الغاربة فقد أبدى في كثير من مواد كتابة إطلاقا على سيرة أبو إسحاق إبراهيم [3]كما هذبها ابن هشام[4] وقد يلتقي في أخبار الفتوح مع الطبري، وكذلك مع كتاب فتوح الشام لمحمد بن عبد الله الازدي البصري، كما أن مصدره عن تباشر البعثة النبوية وعن حروب الردة المؤلف مغربي وهو كتاب الاكتفاء في مغازي الرسول "ص" والثلاثة الخلفاء لابي الربيع الكلاعي[5]، وقد درس ليفي بروفنسال في مقدمته لما نشر الروض المعطار موضوع المراجع فقال إن المادة التاريخية معظمها ترجع إلى كتابين أولهما المغرب في اخبار المغرب لأبي التقي طاهر بن عبد الرحمان والثاني لمؤلف مجهول "مجموع المفترق" وهما مفقودين في المكتبة العربية على الآن[6].

أما المصادر الأدبية والمتعلقة بالتراجم فتشمل الأغاني وكتابا لابن سعيد الاندلسي لعله المشرق في جلى المشرق وبعض الدواوين الشعرية، خاصة ديوان أبي العلاء المغرب مشروحا، وديوان الاعمى التطيلي أو على الأقل قصيدته التي مطلعها قفا حدثا عن فل وفلان، ومقصودة ابن دريد مشروحة فإما معرفته بعض شعراء القرن السابع كابن الآبار وابن عربية وابن مجير أو برسائل بعض أدباء ذلك القرن مثل ابي المطرف ابن عصره[7].

[1]–الحميري، المصدر السابق، ص 5.اغناطيوس بوليانوفتش، المصدر السابق، ص 449.

[2]– الحميري، المصدر السابق، مقدمة التحقيق ص رمز س. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 555.

[3]–الحميري، المصدر السابق، مقدمة التحقيق ، ص رمز س.

[4]–الحميري، المصدر نفسه،مقدمة التحقيق ، ص رمز س.

[5]–المصدر الحميري، المصدر نفسه، مقدمة التحقيق ،ص رمزس.

[6]–الحميري :المصدر السابق، ص رمز ر.

[7]–الحميري، المصدر نفسه، (مقدمة التحقيق)، ص رمز ع.

الفصل الأول

الحياة الثقافية في بجاية الحمادية

المبحث الاول : لمحة جغرافية و تاريخية عن بجاية الحمادية

جغرافية بجاية

بجاية من المناطق التي حظيت بالدراسات الجغرافية أيضا و هعذا راجع لتدافع العلماء و الرحالة إليها و بسبب موقعها الإستراتيجي المطل على البحر

بجاية بالكسر و تخفيف الجيم و ألف و ياء و هاد و هي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية و المغرب و كان أول من إختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين بينهما و جزيرة بني أربعة أيام[1]

فيذكر الجغرافيين أن بجاية مدينة عتيقة تقع في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط [2] ، و يذكر أبي الفدا في كتابه تقويم البلدان أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط ولها نهر على شاطئه البساتين وأنهاره في شرقي بجاية و يقابل بجاية من الاندلس طرطوشة و غربها جزائر بني مزغنة ، و في آخر حد مملكة بجاية و شرقي قسنطينة مرسى الخزر المخصوص بالمرجان و أمام هذا المرسى جزيرة سردينية

أما العبدري في كتابه الرحلة المغربية فيذكر بأن بجاية هي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية و بحرية وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني موضوعة في

أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر مشرفة عليها أشراف الطليعة متحصنة بهما منيعة فلا مطمع فيها لمحارب و لا متسع فيها لطاعن و ضارب [3]

كما أورد أيضا الحميري (ت 900 هـ) في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط مدينة عظيمة على ضفة البحر بضرب سورها و هي على جرف حجر ولها من جهة

---

[1] الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان ،المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ،1977، ص 399

[2] حسن أحمد بن محمد الفاسي ليون : وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، مراجعة علي عبد الواحد ، المملكة العربية السعودية ، ص5

[3] محمد العبدريالبلنسي : الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث و الدراسات ، الجزائر ،ط1 ، 2007 ، ص49

الشمال جبل يسمى أمسيول و هو جبل سام صعب المرتقي و في أكنافه أنواع من البنات المنتفع به في صناعة الطب مثل البرباريس و القنطوريون و الروان و الأسفيوس وغير ذلك من الحشائش و في هذا الجبل عقارب صفر الألوان قليلة الضرر[1]

وعلى حد قول الإدريسي فإن مدينة بجاية مدينة الغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد و السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة و الأمتعة إليها برا و بحرا و السلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار ، وبها من الصناعات و الصناع ما ليس بكثير من البلاد و أهلها يجالسون تجار الصحراء و تجار المشرق ، و تباع البضائع بالأموال المقنطرة ، ولها بواد و مزارع والحنطة والشعير بها موجودان كثيرا و التين ومن سائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد وبها أيضا كما أجمعت كل المصادر دار صناعة لإنشاء الأساطيل و المراكب والسفن و هذا لأن الخشب في أوديتها و جبالها كثير [2]

وهذا ما ذكره أيضا الحميري حول السفن و الصناعة و يقول بأن بجاية هي عين بلاد بني حماد و السفن إليها برا و بحرا و السلع إإليها أهلها تجار مياسير و لها بواد و مزارع و الحنطة و الشعير و يجلب إليها من أقاليمها الزيت الطيب و القطران و بها معادن الحديد الطيب و بها من الصناعات كل غريبة [3].

كما أورد أيضا الحميري أن بجاية هي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها و البحر منها ثلاث جهات في الشرق والغرب و الجوف و لها إلى جهة المغرب يسمى المضيق على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير و طريق في القبلة إلى قلعة بني حماد على عقاب وأوعار الكبير [4]

كما يذكر حسن الوزان في كتابه " بأن المدينة كلها عقبات، بحيث أن الماشي لا يستطيع أن يخطوا خطوات دون أن يصعد أو ينزل [5] لذلك قال الشاعر:

---

[1] الحمير : المصدر سابق ، ص80

[2] الأدريسي : المصدر السابق ،ص 116

[3] الحمير : المصدر السابق ، ص ، 81

[4] المصدر نفسه ، ص81

[5] الوران: المصدر السابق ، ص 50

بجاية كلها عقاب حل لمن حلها عقاب [1]

وبجاية معلقة من جبل قد دخل في البحر يضرب فيه و هي مدينة كثيرة الفواكه و الخيرات و هي مشرفة نزهة مطلة على البحر . و لها نهر عظيم قد وضعت عليه نواعر وله منتزه عظيم وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة و هو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة غاية في الحسن فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد و الأبواب المخرمة المحلاة و المجالس المقرصنة و المبنية حيطانها بالرخام الأبيض قد نقشت بالذهب و اللازورد ، و هذا الجبل أمسيول هو كثير البساتين و كثير القردة و فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب [2]

أما عن أهل بجاية فقد عرفوا على قدر عظيم من الغنى ، وهذا راجع إلى عدد السفن الحربية المختلفة التي يرسلونها لغزو شواطئ إسبانيا .

و أما العمارة و العمران في بجاية فإن فيها جوامع كافية و مدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه و العلوم بإضافة إلى الزوايا المتصرفة و حمامات و فنادق و مارستان و كلها صروح مشيدة حسنة البناء ، وأسواقها كذلك جميلة منسقة أحسن تنسيق [3] ، ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصفة المذكورة و هو مشرف على برها و بحرها و موضوع بين سحرها و نحرها ، فهو غاية في الفرجة و الأنس ينشرح الصدر لرؤيته و ترتاح النفس و أهلها يواضبون على الصلاة فيه ، مواظبة رعاية ، و هذا البلد بقية قواعد الإسلام و محل تجلة العلماء و الأعلام وله مع حسن المنظر طيب المخبر [4]

[1] الحميري :المصدر السابق ، ص 81

[2] الحمير:المصدر نفسه ، ص 81 - 82

[3] الوزان : المصدر السابق ، ص 50

[4] العبدري : المصدر السابق ، ص50 ،

ب- **لمحة تاريخية عن مدينة بجاية :**

بجاية اسم خالد في تاريخ المغرب الإسلامي بشكل عام ، و في حضارة المغرب الأوسط بشكل خاص ، إذ تعد ثاني عاصمة لدولة بني حماد ، أما عاصمتهم الأولى فقد كانت مدينة القلعة المشهورة "

بقلعة بني حماد " [1]،التي ارتبط اسمها باسم مؤسسها " حماد بن بلكين [2]، الذي استطاع بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب بتكليف من ابن أخيه " باديس بن المنصور " [3]، الذي سرح عمه حمادا لحرب القبائل المعرضة و خرج على إثره و دوخ المغرب واثخن و زناته و اختط مدينة القلعة سنة 398 هـ/ 1007 م [4].

و أهوال عظيمة [5]، خلفهم فيها أبنائهم ، فانقسم بذلك الملك الصنهاجي إلى دولتين ، الدولة الزيرية أصحاب القيروان ، و دولة حماد بن بلكين أصحاب القلعة [6].

أما عن بجاية العاصمة الثانية للحماديين فيرتبط ظهورها إلى أحداث تاريخية هامة توجت بظهورها على مسرح الأحداث

[1]االقلعة : اختطها حماد بن بلكين سنة 398 هـ على قمة جبل يسمى تاقربوست ، و هي قرب أشير ، و ليس لهذه القلعة " منظر ولا رواء حسن إنما اختطها حماد للتحصن و الامتناع " (ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج4 ، ص163 ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص227).

[2]حماد بلكين : كان ملكا كبيرا و شجاعا ثبتا و هو الذي بنى القلعةن المنسوبة إلى حماد توفي في شهر رجب سنة تسع عشرة و أربعمائة (لسان الدين ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، قسم الثالث تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 ، ص86)

[3]باديس بن المنصور:أبو مناد باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي المغربي ولد سنة 374 هـ بآشير و توفي سنة 406 هـ تولى إفريقية بعد أبيه المنصور (**ابن العماد الدمشقي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق عبد القادر و محمد الأرناؤوط ، دار ابن الكثير ، دمشق ، مج 5 ص 38 – 39)

[4] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، 210

[5] ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 71- 72

[6] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص210

فيرجع بناء مدينة بجاية إلى ذلك العداء التاريخي القائم بين الدولتين الصنهاجيتين الزيرية الحمادية ، و الذي تمثل في هذه الفترة في عهد الناصر بن علناس صاحب القلعة و " تميم بن المعز " [1] ، صاحب المهدية [2]،حسب رواية اي الأثير [3].

تتحدث الروايات التاريخية أن سبب النزاع كان لما وصل لتميم أن الناصرة يتحدث فيه في مجلسه و يذمه ، و أنه عزم على المسير إلية ليحاصره بالمهدية [4]حسب رواية ابن الأثير غير أن صاحب الاستبصار يرى أن الناصرة ابن علناس خرج لنصرة ابن عمه ضد العرب بعد ما حوصر في المهدية [5].

و هنا أرسل تميم بن معز إلى حلفائه من بني رياح ضد الناصر يحملهم عليه فوافقوا شريطة أن يقدم لهم معاونة فأعطاهم المال والسلاح من الرماح و السيوف و الدروع و الدرقة و جمعوا قومهم و تحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر [6]

فالتق الفريقين في سنة 457 هـ بين الناصر بن علناس و من معه من صنهاجة وزناتة و عدي والأثبح ، وبين رياح و زغبة و سليم [7]، وتميم بن المعز في موقعة سبيبة [8] ، فانهزم الناصر ، و قتل من أصحابه

---

[1] تميم بن المعز صاحب القيروان ، سلطان ابو يحي الحميري ولد سنة 422 هـ و توفي سنة 501 هـ تولى الحكم سنة 455 هـ (ابن العماد الدمشقي : المصدر السابق ، ج 6 ،ص 5 – 6)

[2] المهدية : اختطها ابو عبد الله المهدي و إيها نسب ، و هي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند سنة 303 هـ (ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج 5 ،ص 230 – 231)

[3] ابن الأثير أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الواحد الشبياني : الكامل في التاريخ مراجعة محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 ، ج8 ، ص372

[4]ابن الاثير المصدر نفسه ، ص373

[5] مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 129 (و نلاحظ خلط في الأسماء فالواقعة بين العرب و الحماديين على عهد الناصر و ليس في عهد المنصور

[6] ابن الأثير : المصدر نفسه ، ص373 ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ج3 ، ص453

[7] القبائل العربية : نزعت من صعيد مصر إلى افريقية بتأليب من الفاطميين و سميت هذه الهجرة بالتغريبة الهلالية و تشمل قبائل ابني هلال و ابني سليم و عدي و الأثبح و رياح و زغبة (عبد الحميد خالدي الوجود الهلالي و السليمي في الجزائر ، الجزائر ، 2003 ، ص194)

[8] سبيبة : ناحية من أعمال افريقية ثم من أعمال القيروان (ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج3 ص186)

خلق كثير و نهبت أمواله ومضاربه ، و قتل أخوه وسلم الناصر في نفر يسير و غنمت العرب جميع ماناان في العسكر من مال و سلاح و دواب [1].

أما عن بناء مدينة بجاية فترجع إلى أحداث تاريخية هامة ، " فلما نجا الناصر إلى القلعة ، نزلت عليه جيوش العرب و ضيقوا عليه ببلاده فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعا بهم" [2] ،فانزعج الناصر فلم يعد يستقم له العيش في قلعته فكان لابد في هذه الحالة أن يختط

مدينةأخرى، فكان له دلك بعدما اصطلح مع ابن عمه تميم بن المعز [3] ،بعدها اهتم تميم بن المعز لما حدث لابن عمه مع العرب و أصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر [4].

كان للناصر بن علناس وزير يسمى " أبا بكر بن أبي الفتوح " [3]، الذي قام بإرسال رسولا لتميم بن المعز لعقد هدنة فقبل تميم بذلك ، و أرسل رسولا إلى الناصر " محمد بن البعبع [5] ، الذي مر على موضع بجاية و فيه أبيات من البربر ، فتأملها حق التأمل فلما قدم على الناصر غدر بصاحبه تميم بن المعز و استخلى بالناصر ، و قرر بينه و بين الناصر الهرب من تميم و عدم الرجوع اليه ، واشار عليه بناء بجاية واراه المصلحة من ذالك موضع المينا و البلد و الدار السلطانية ، فأمر الناصر من ساعته بالبناء و العمل [6].

يرجع البعض أن السبب الرئيسي لتشييد بجاية هو أن الناصر كانت له أطماع توسيعية و يريد فتح المهدية ، فرأى أنه لا يستطيع فتحا إلا إذا هجم عليها من جهة البر والبحر ، لذلك اختار مرسى

[1] ابن الأثير : المصدر السابق ، ص 373 ، مؤلف مجهول : المصدر السابق ص 129

[2] مؤلف مجهول : مصدر سابق ، ص 129

[3] ابن عذاري المصدر السابق ، ج1 ، ص 309 (وكان هذا الصلح الذي عقده المعز والناصر سنة 470 هـ ، وزوجه ابنته بلارة).

[4] ابن الأثير : المصدر نفسه ، مج 8 ، ص 373

[3] ابا بكر بن أبي الفتوح : هو وزير الناصر تذكره المصادر أنه كان له ميل لدولة تميم ، يحب الاتفاق بينهما (ابن الأثير : نفسه ، مج8 ، ص 373)

[5] محمد البعبع : بعث به تميم بن المعز للناصر لعقد الصلح بينهما و في طريقه أعجب بموقع بجاية فأشار على الناصر ببناء بجاية (ابن الاثير ، نفسه ، مج 8 ، ص373)

[6] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص 339 ، ابن الاثير : مصدر نفسه ، مج 8 ، ص374

يكون قريب من افريقية [1] ، أما ابن الخطيب يرى أن السبب الذي أدى بالناصر لبناء بجاية كرهه مجاورة بني حماد في القلعة ، إذ كان يسكنها من فرسان صنهاجة اثنا عشر ألف فارس [2]

و يرى البعض الآخر السبب في بناء مدينة بجاية يرجع إلى خراب القلعة ، كنتيجة بموقعه سببية ، غبر أن المؤرخ رشيد بورويبة يرى أن قلعة بني حماد كانت غير مهددة من طرف بني هلال و الدليل على ذلك حسب قوه أنها بقيت عاصمة ثانية للحماديين و أن الأميرين (الناصر و المنصور) شيدا فيها عدة مباني شهيرة [3]

إن موضع بجاية كان موقعا لمدينة أسسها الفينيقيون تعرف باسم " صلدة " ثم انتقلت إلى الرومانيين و عرفت باسم " صلداي " [4] ،أما البكري فيصفها على أنها مرسى سماه " مرسى بجاية " [5]، ولم يذع صيتها في العهد الإسلامي إلا بعدها اختطها الناصر سنة 460 هـ و كان لو قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم ، إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافا بل هي بين الجيم و الكاف ، و على هذا القبيل من صنهاجة يأتون لهذا العهذ أوازعا من البربر ، فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة و سماها الناصرية ، إلا أنها عرفت باسم القبيلة البربرية التي تقطنها و هي بجاية ، و انتقل إإليها سنة 461 هـ . أما ابنه المنصور فنزل ببجاية سنة 483 هـ . فاتخذها دار ملكه ، و جدد قصورها و شيد جامعها ، فبنى في بجاية قصر اللؤلؤة و قصر

أميمون [6]،و يشيد بتلك القصور صاحب الاستبصار بقوله " لم ير الراءون أحسن منها بناء و يصفها بأنها " نقشت أحسن نقش و أنزلت بالذهب و اللازورد " [7]

---

[1] رشيد بورويبة : الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 1977 ص 68.

[2] ابن الخطيب : المصدر السابق ،، ص 94

[3] رشيد برويبة : المصدر السابق ، ص 69

[4] عبد الحليم عويس : دولة بني حماد ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 2 1991 ، ص69 . 93 p، 1909، . debeylie la kalaa des benihamad :enrest .leroux .paris

[5] البكري : المصدر السابق ، ص 82

[6] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص 232

[7] مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 130

ظنت بجاية مدينة عامرة وزاهرة إلى آخر حكامها " يحي بن العزيز " ففي سنة 547 هـ / 1152 م قوضت دولة الموحدين بقيادة أميرها عبد المؤمن [1] ،دولة بن حماد نهائيا في بجاية و القلعة ، حيث حاصر عبد المؤمن بجاية و ضيق عليها أشد التضييق ، فلما رأى يحي بن العزيز أن لا طاقة له بدفاع القوم و لايستطيع منعهم ، فأرسل إليه عبد المؤمن الجيوش و دخل عبد المؤمن بجاية و ملكها و ملك قلعة بني حماد و أقام فيها مدة شهرين حتى هدمها و فتح أقطارها [2] .

ظلت بجاية و حتى بعد سقوط الدولة الحمادية تلعب دورا هاما و فعالا جعلها مركز اهتمام الدويلات التي حكمت المغرب بعد الدولة الموحدية كالحفصية و الزيانية و المرينية .

المبحث الثاني : دور الحكام في بناء الحياة الفكرية في بجاية :

بجاية من المناطق التي نالت شهرة ثقافية و علمية مزدهرة و برزت كغيرها من الحواضر العلمية في بلاد المغرب الأوسط ، خاصة بعد أن رحل الحماديون من القلعة إليها و استقروا بها و التي عرفت آنذاك باسم الناصرية نسبة إلى مؤسسها الناصر بن علناس كما أشرنا من قبل فقد نالت بجاية اهتماما كبيرا من كتب الرحالة و المؤرخين نظرا لمكانتها كعاصمة علم و معرفة ومركز اشعاع حضاري لامع ، و يرجع الفضل إلى دور حكامها و الإستقرار السياسي ولما أخذ المعز لدين الله الفاطمي بالرحيل إلى المشرق ، نظر فيمن يوليه أمر إفريقية والمغرب فعثر على بلكين بن زيري بن مناد و ليتولى من بعده أولاده و سميت الدولة بالدولة الزيرية [3] ، إلى أن تولى الحكم تميم بن المعز و في عهده تولى الناصر بن علناس الحكم في القلعة سنة 454 هـ ، و كان بنو حماد في هذه الآونة ما يزالون يحتفظون بشمال و وسط المغرب الأوسط و قوة العرب الهلالية تزداد ، لكن رغم هذا ضعفت شوكة الناصر وزادت قوته

[1] عبد المؤمن بن علي بن مروان بن عامر بن الأمير موسى بن مادغسين بن بر بن عيلان بن عدنان ولد سنة 487 هـ في أسرة فقيرة من قرية تاجرا نواحي ندرومة ، طلب العلم في بلدته ثم رحل إلى ملالة أين ألقى بابن تومرت ، و هو الذي خلف المهدي بن تومرت و أسس بذلك الذولة الموحدية ، توفي 558 هـ بعد أن قام بتوحيد الغرب الإسلامي (ابن خلكان ، وفيات الأعيان في أنباء ابناء الزمان ، تحقيق أحسان عباس ، دار صادر بيروت ،ج3، ص237)

[2] عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب من فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة ليدن ، 1881 ، ص 272 ، ابن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، صور للطباعة ة الوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص194 .

[3] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ،ص 37

شيئا فشيئا [1]، والناصر بن علناس أعظم ملوك هذه الدولة و أكثرهم دهاء و حنكة سياسية ، وقد دان حكمه سبعا و عشرين سنة [2].

ذكر ابن الخطيب أن الناصر هو الذي بنى بجاية لأنه كره مجاورة بني حماد في القلعة المنسوبة إليهم حتى اتسعت مملكته مبايعه أهل القيروان سنة ستين و أربعمائة ،كما قصده الشعراء والأدباء [3].

وقد انتشر في هذا العهد ،ظاهرة التنافس الثقافي ، وكان السباق قائما بين بلدان المشرق والمغرب والأندلس ، وساعد على نجاح هذا التنافس بالنسبة للحماديين رعايتهم و تشجيعهم للعلماء و المفكرين ، فقد كانوا يؤثرون العلماء على سائر الطبقات ، و يقدمونهم .

و كان الناصر خاصة أطول الملوك الحماديين باعا في هذا المضمار فقد كان يؤمه الأدباء و يقصده الشعراء فيغدق صلاته عليهم [4] . فان أول عمل قام به هو تنظيم الدولة الحمادية وإخماده لجميع الثروات ثم تأسيسه لمدينة بجاية العتيقة [5].

كما عرف عن عهده الاستقرار و التحضر لأن غايته تصب في انتقال بجاية من طور إلى آخر ، و كما يبدو فإن الناصر كان إنسانا مسالما يميل إلى الهدوء و لا يحب الانغماس كثيرا في المشاكل السياسية [6] ، و على الرغم من جميع الصعوبات التي واجهته و المؤامرات إلا أنه خلف مملكة قوية مزدهرة فقد عنى بالبناء و التعمير ، فكان يدخل تحسينات بالاستمرار على القلعة ، وبجاية . فكانت هذه الأخيرة ملجأ الأفواج اللاجئين والشعراء و الفنانين و هذا ما جعلها مركز من المراكز الثقافية الهامة في العالم الإسلامي [7]

---

[1] اسماعيل العربي : دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ،الشركة الوطنيةللنشر والتوزيع ، الجزائر 1980 ،ص 161

[2] شوقي ضيف :المرجع السابق ، ص37

[3] ابن الحطيب: المصدر السابق ، ص 94-96.

[4] نفسه ، ص 95 ، ابن خلدون : المصدر السابق ،ص 231-232

[5] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 59

[6] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 137

[7] سماعيل العربي: المرجع السابق ، ص 182

ليتولى من بعد الرجل العظيم ابنه المنصور (481هـ-498هـ)، الذي سار على نهج أبيه في أمور السياسة،فهو بذلك اقتفى لآثار أبيه قي الحزم و العزم و الرئاسة [1].

و يقول ابن خلدون عن المنصور : " كان مولعا بالبناء ، الذي حضر ملك بني حماد وتأنى في اختطاط المباني و تشييد المصانع و اتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين"[2].

أما ابن الخطيب فيذكر بأن المنصور : " كان قائما على أمره حميد الخصال ، ضابط الأمور يكتب الشعر ، ويذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور من وقع الثياب والتحفظ على القليل من الأشياء " [3].

كما عرف عنه ولعه بالبناء والتعمير ،كما واجهته مثل أبيه مجموعة من المشاكل فيما يتعلق بالأمن والدفاع ، حتى أنه وصل إلى غاية تلمسان و بهذا استقام له المغرب الأوسط و قوي سلطانه[4]، وأيضا الحاكم العظيم العزيز بن المنصور (498-518هـ) الذي تسلم إمارة الدولة الحمادية ، ويكاد يكون امتداد لأبيه وجده الناصر في نمو الدولة فقدكان حازما ماهرا عارفا بتسيير الدول و الممالك [5].

ويقول ابن خلدون أيضا أن أيامه كانت هدنة وأمنا ، أما إبن الخطيب فيقول أن أيامه كانت أعيادا لحسنها و جمالها [6]، وقدكرس العزيز جهوده في إعادة السلام إلى نصابه بين صنهاجة و زناتة ، كما شجع العلم و الثقافة و ذلك لإعادة بجاية لإيواء وفود اللاجئين من العلماء والشعراء والفنانين الذين غادروا بجاية بعدما تدهورت أوضاعها ،وكان مولعا بمجالسة العلماء والاشتراك في مناظرات العلماء [7]

[1] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ، ص166 .
[2] ابن خلدون: المصدر السابق ،ج6 ،ص 67
[3] ابن الخطيب : المصدر السابق ،ص97
[4] إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص204
[5] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 148
[6] إبن الخطيب : المصدر نفسه ، ص99
[7] إسماعيل العربي : المرجع نفسه ، ص 206

و خلاصة القول أن بجاية في العهد الحمادي عرفت ازدهارا خاصة في الجانب الثقافي العلمي ، فقد كان الحكام يولون أهمية كبيرة للعلماء والأدباء حتى أضحت حاضرة بجاية تضاهي حواضر المغرب والأندلس .

المبحث الثالث : المراكز التعليمية في بجاية :

عرفت الحياة الثقافية و الفكرية ببجاية خلال الفترة الحمادية انتشارا واسعا لمؤسسات الدينية والتعليمية ، التي ظلت طيلة هذه الفترة تؤدي دورا تعليميا و تثقيفيا بارزا ، و من هذه المؤسسات المساجد ، الكتاتيب ، المعاهد،المكتبات ، بالإضافة إلى الزوايا .

1- المساجد :

يمثل المسجد المؤسسة التعليمية الأولى في الدولة الإسلامية ، و بجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي عرفت انتشارا لهذه المؤسسة الدينية والتعليمية منذ القتوحات الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن الأول هجري ، خاصة في العهد الحمادي لاسيما في عهد الناصر بن علناس الذي بنى فيها حوالي 72 مسجدا [1].

لقد لعب المسجد دورا تعليميا هاما حيث يذكر أنه لم يكن ثمة مسجد في المدينة خاليا من المدرسين [2] ، كما كان لبعض العلماء مساجد خاصة مثل مسجد الفقيه "أبو زكريا الزواوي "[3]

[1] محمد المحمدي : " المساجد والزوايا ببجاية و جورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي " ، حوليات التراث العدد 13،2013 ،ص 253

[2] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص253

[3] أبو زكريا الزواوي : هو أبو زكريا يحي بن علي و قيل بن أبي علي الزواوي ، من الفقهاء الزهاد ، من أخل أمسيون خارج مدينة بجاية (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق و تعليق عادل نويهض ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ص47).

الذي كان يجلس فيه ، و كان يدرس به الشيخ "أبي مدين شعيب " [1] ويقع في قصر اللؤلؤة ببجاية و كان يفتي في مسائل مختلفة [2]

إن المساجد كانت على رأس المؤسسات التعليمية التي ساهمت بانتشار الثقافة في بجاية و كانت هذه المساجد تنقسم إلى نوعين :

- أولها ، مساجد الأحياء بالمدن و يتكلفون بالإنفاق والتسيير و الإشراف على التدريس بها الرعية .
- و ثانيها ، المساجد الكبرى التي تشرف الدولة على رعايتها و النظر في تعيين أئمتها [3]

حرص الأمراء الحماديين على تهيئتها لتؤدي رسالتها الدينية و التعليمية ، كما تجلت هذه العناية العلماء و الفقهاء و يستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية والأندلسية ليدرسوا بها .

لقد ساهمت المساجد ببجاية في تطوير الحركة التعليمية ومن بين أشهر المساجد نذكر :

الجامع الأعظم يعود بناؤه إلى القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي خلالفترة حكم المنصور بن الناصر الحمادي (481هـ- 498هـ/ 1088-1104م)،شيد بجانب قصر اللؤلؤة

وكان هذا المسجد من أجمل المساجد رائعا في هندسته يبلغ طوله 220 ذراعا ، و عرضه 250 ذراعا ، له واجهة مزينة ب17 عقدا ، و باب كبير على يمينه و يساره ، و قبة عظيمة [4]،

---

[1] أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي من ناحية إشبيلية ، توفي سنة 594 هـ ، ودفن بعباد تلمسان يلقب بشيخ المشايخ ، و سيد العارفين ، و كان من أعلام العلماء زاهدا فاضلا و كان من حفاظ الحديث خصوصا الجامع الترمذي ، كما كان يلازم كتاب " الاحياء " و يعلق عليه ، و ترد عليه الفتاوي في مذهب مالك و يجيب عنها ، كان له مجلس وعظ يتكلم فيه فيجتمع عليه الناس من كل جهة ، تخرج على يديه جماعة كثيرة من العلماء و الحدثين و من الأولياء أخذ العلم عن كبار علماء عصره في فاس ، بجاية ، والمشرق و غيرها (الغبريني : نفسه ، ص22 ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988، مج 7، ص137-136)

[2] الغبريني: مصدر سابق ، ص27

[3] الحسن أسكان : تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازغية الرباط ، 2004، 77

[4] رشيد بورويبة : المرجع السابق ،ص208

و يصفه العبدري في رحلته بأنه "جامع عجيب منفرد في حسنه غريب ، من الجوامع المشهورة ... فهو غاية في الفرجة و الأنس ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس "[1]، ظل هذا المسجد مركزا للعلماء و مقصدا لطلاب العلم خيث تدرس به مختلف العلوم العقلية و النقلية ، في شكل حلقات أشرف عليها حلة من العلماء مثل أبو محمد عبد الحق الاشبيلي له ديوان شعر في الوعظ حدث به جامع بجاية سنة 576 هـ [2].

والمهدي بن تومرت [4] الذي دخل بجاية في رحلته نزل بمسجد الريحانة و كان كثير من الفقهاء يأتونه بطلب العلم منه ، فسار الإمام بن تومرت [4]إلى ملالة و هي قرية ببجاية فلما رأوها بن العزيز قالوا يا فقيه نريد أن نبني لك مسجدا هنا ، فقال لهم : إن شئتم ، فبنو له مسجدا وأقبل الطلبة يصلون إليه في كل مكان ،يقرؤون العلم عليه [4].

ومن أشهر المدرسين في حاضرة بجاية أيضا " أبي الفارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف " ، فكان له درس بين الصلاتين ، و درس بين العشائين ، وكلها دروس مشهورة

ودأب على هذا مدة طويلة ، و اقتصر بعده على التدريس بالجامع الأعظم بين الصلاتين و درس عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به حتى أن الغبريني يذكر سمع منه كثيرا ، و قرأ عليه "الموطأ بالجامع الأعظم " . [5]

---

[1] العبدري : المصدر السابق ، ص49

[2] الغبر يني : المصدر السابق ، ص12

[3] المهدي بن تومرت : هو المهدي بن عبد الله محمد بن تومرت الحسيني ، من هرغة من قبائل المصامدة في جبل السوس ، ولد سنة 473هـ مؤسس الروحي للدولة الموحدية ،كان فقيها فاضلا عالما حافظا عارفا بأصول الدين ، توفي 524هـ بعد معركة ضد المرابطين (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : المصدر السابق ، ج5 ، ص45 – 46)

[4] أبو بكر علي الصنهاجي البيذق: أخبار المهدي بن تومرت ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1971 ، ص13-14

[5] الغبريني : المصدر نفسه ، ص 63

2- الكتاتيب :

الكتاتيب من أشهر أنواع التعليم الابتدائي ، التي انتشرت في بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي ، والمكتب موضع الكتاب، و المكتب و الكتاب موضعتعليم الكتاب و الجمع الكتاتيب و الكتاب الصبيان [1] ، حيث أصبح الكتاب بعد ظهور الإسلام المكان الرئيسي للتعليم ، دعت إلى ظهوره حاجات التوسع في نشر الدين ، وقد تمتع بمكانة كبيرة الأهمية في الحياة الإسلامية ، لأنه كان المكان الرئيسي لتعليم الصغار القرآن الكريم ، لأن تعليم الأطفال القرآن بصفة خاصة كان أمرا عظيما [2] ، فاتخذوا لهم الكتاب بسيط البناء على هيئة بيت مربع أو مستطيل مفروشا بحصر ، يجلس عليه الصبيان متربعين حول المعلم [3].

أما على المؤدب في الكتاتيب فوجوبا عليه تعليم القرآن الكريم حيث يرى ابن خلدون أصل التعليم الذي يبني عليه في هذه الكتاتيب هو القرآن الكريم و يرى كذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا [4] يبعث الصبي إلى الكتاب عند بلوغه لهذه الكتاتيب المنتشرة في أنحاء المدن والقرى ،والتي قد تكون إلى جوار المساجد و قد تكون بعيدة عنها ، و لاتكون بداخلها على أية حال [5] .حيث عرف هذا النوع من المؤسسات التعليمية في بجاية بإسم "الشريعة" ومن المحتمل انه يحل محل الكتاب و هو عبارة عن خيمة تنشر خاصة في البادية[6] .

ما يلاحظ في هذه المؤسسة التعليمية أنها لم تحظى بدعم من البلاط الحاكم ، بل كانت تتمتع بنوع من الملكية الخاصة .

---

[1] ابن المنظور : لسان العرب ،دار صادر ، بيروت ، مج1 ، ص699.

[2] عبد الله عبد الدائم : المرجع السابق ،ص146

[3] محمد بن سحنون :المصدر السابق ،ص44

[4] ابن خلدون : المصدر السابق ،ج1 ،ص740

[5] أحمد فؤاد الأهواني : المرجع السابق ،ص28

[6] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ،ص253

3- المعاهد :

ظهر هذا النوع من المؤسسات التعليمية في المدن الكبرى و هي نوع من التعليم العالي , أنشأه الناصر بن علناس في بجاية اسم " معهد سيدي التواتي " و يذكر أنه كان يضم على ثلاثة ألاف طالب ، هذا راجع نظرا لكثرة العلماء و الطلبة الذين كانوا في بجاية من أبنائها و حتى من خارجها ، كما كانت تدرس فيه كل المواد بما فيها العلوم الفلكية و خلال مؤتمر علمي ألقت تلميذة من هذه الجامعة محاضرة دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس أمام مجموعة من العلماء حتى الأجانب , نلاحظ أن في هذا المعهد كان مرخصا للفتيات بالتعليم فيه و إلقاء المحاضرات وخلال حكم العزيز كان يحاضر في جامعة سيدي التواتي علماء من إسبانيا و إفريقية و بلاد الشرق [1]

4-المكتبات :

اهتمت الدولة الحمادية بإنشاء المكتبات ، حيث عرف فيها وجود هذا النوع من المراكز التعليمية الهامة في تلك الفترة ، حيث عرفت بجاية مكتبات فقد كان بجامع المنار بالقلعة مكتبة مليئة بالكتب المحمولة من أقطار المغرب ، ما يبين لنا اهتمام الحماديين باقتناء الكتب و تجميعها في المكتبات [2]

5- الزوايا :

تعتبر الزوايا من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم لدى المجتمع البجائي ، فالزاوية هي ذلك البناء الصغير الذي يشبه المسجد حيث يجمع بين الوظيفة التعليمية التربوية و الدينية ، اهتم بإنشائها أهل الخير ورجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة فا بالإضافة غلى الدور التعليمي الديني فقد كان يعد مكان يأوي المسافرين و يطعمهم [3].

[1] عبد الحليم: عويس المرجع السابق ، ص253

[2] عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص140 .

[3] عبد الكريم عزوق : المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نوحيها ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2007 -2008 ، ص 74

ومن الزوايا التي انتشرت في بجاية زوايا المزار و هي التي تثوي قبر ولي من الأولياء الصالحين يقصدها الناس لزيارة . كذلك هناك زوايا يتولاها شيخ الزاوية يتم فيها تعليم الطلبة أمور دينهم كما يرددون فيها الذكر و التلاوة [1] .

و يرتبط ظهور الزاوية في بجاية بظهور ظاهرة التصوف فأصبحت الزوايا قطبا يقصدها المتصوفة . حيث عملت على نشر و ترسيخ الفكر الصوفي [2].

أدت الزوايا في حاضرة بجاية أدوارا بارزة و مهمة أهمها الدور التربوي و التعليمي تمثل في استقبال طلاب العلم و المعرفة و نشر التعليم بفضل شيوخها المتمكنين في شتى العلوم ، حيث عملت على تحفيظ القرآن الكريم و نشر اللغة العربية دون إهمال مختلف العلوم الأخرى [3]، و فيا الأخير اعتبرت الزوايا من أهم المؤسسات التعليمة في نشر التعليم و تعميمه لدى شرائح المجتمع البجائي .

المبحث الرابع : أهم العلوم في حاضرة بجاية في العهد الحمادي

عرفت حاضرة بجاية تطورا فكريا أيام الدولة الحمادية فناهضت بذلك الحضارة العربية الإسلامية في المشرق و الأندلس ، فأصبحت المدينة ملتقى لرجال العلم ، حيث نبغ بها علماء اهتموا في القرنين 5-6هـ / 12-13م ، بمختلف العلوم منها (النقلية و العقلية) مما صارت بجاية من أهم الحواضر العلمية بالمغرب الإسلامي يقصدها عدد كبير من العلماء والشعراء و الفقهاء ، كل هذا ساهم في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية في مدينة بجاية .

أ- العلوم النقلية :

و يقصد بها علوم الدين ، هذه العلوم التي اهتموا بها ، و تشمل القرآن والسنة من خلال دراسة التفسير و الحديث و الفقه ، و يتجلى هذا الاهتمام من خلال تأسيس المساجد و الزوايا التي كانت المجال الخصب لازدهار هذه العلوم .

[1] محمد محمدي : المرجع السابق ، ص95

[2] محمد محمدي : المرجع نفسه ، ص96.

[3] محمد محمدي : المرجع نفسه ، ص98

1- الفقه :

شهدت بجاية نهضة فكرية في العلوم الدينية خاصة الفقه ، حيث تعددت تأليف علماء بجابة و دلالة على ذلك ما ذكره الغبريني عن أبي علي المسيلي من أنه قال :" أدركت ببجابة ما ينيف على تسعين مفتيا " [1] .

إن التطرق لموضوع الفقه في بلاد المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة يقودنا إلى الحديث عن الفقه المالكي ، الذي انتشر في هذه المنطقة منذ القرن الثاني للهجرة [2]، رغم تداول العديد من المذاهب على المنطقة من اتشار الخوارج المتمثلة في الصفرية [3] ،و وبعد ذلك عرف بلاد المغرب الإسلامي الحركة الشيعية [4] ،و اعتماده كمذهب رسمي للدولة العبيدية في القرن الثاني و الثالث للهجرة [5]،أن التضييق و القمع الذي تعرض له أهل المغرب من قبل العبيديين ،دفعهم إلى الثورة على هذا المذهب ، و كان ذلك في عهد المعز بن باديس [6]، الذي حصلت في عهده القطيعة المذهبية بينه و بين العبيديين ، و تمكينه للمذهب المالكي [7]، في بلاد المغرب [8] .

---

[1] الغبريني : المصدر السابق ، ص 36

[2] نجم الدين الهنتاني : المذهب المالكي بالغرب الإسلامي ، نبر الزمان ، تونس ، 2004، ص 42 .

[3] الصفرية : من أتباع زياد الأصفر من أهم مبادئهم عدم تكفير القعدة عن القتال و التمسك بالتقية في القول ، ظهرت بالمغرب بواسطة دعاة أبرزهم عكرمة مولى ابن العباس ، نجحت في تأسيس دولة صفرية هي الدولة المدرارية (أبي عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : الفرق بين الفرق ، دار المغرفة ، بيروت ط2، 1997، ص94 ، موسى لقبال : المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ط2 ، 1981، ص158).

[4] الشيعة : هي أقدم المذاهب السياسية الإسلامية و سموا بذلك نسبة لتشييعهم لعلي "كر الله وجهه " ، ظهرت هذه الحركة في بلاد المغرب على يد "أبو عبد الله الشيعي " ولهم عدة فرق و التي دخلت بلد المغرب الإسماعلية (محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص30)

[5] موسى لقبال : المرجع سابق ،ص110.

[6] المعز بن باديس : توفي سنة 454هـ ، تولى الحكم سنة 406هـ ، وإليه يرجع الفضل في قطع الدعوة العبيدية سنة 441هـ (ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 30)

[7] المذهب المالكي: ينسب إلى مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) ولد في المدينة سنة 93هـ و توفي سنة 179هـ ، عرف المذهب انتشارا واسعا في بلاد المغرب و تمكن في نفوس المغاربة له كتاب شهيير و هو الموطأ (محمد أبو زهرة : نفسه ، ص 405).

[8] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص205.

فكان اعتمادا المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة الحمادية ، سببا في إضفاء لونا من الثبات والوحدة ، تحقق ذلك على المستوى العقائدي [1]، فغدى دراسة الفقه تخصص الأول المفضل في دراسة العلوم النقلية فأصبح المذهب المالكي عنصرا من عناصر التكوين الثقافي لمدينة بجاية فهم رجال العلم على نشره و تدريسه و من كبار فقهاء مدينة بجاية في العهد الحمادي نجد :

العالم الجليل مروان بن علي الأسدي المعروف بالبوني نسبة إلى مدينة بونة التي استقر بها طويلا بعد أن صال وجال مشرقا كان حافظا نافذا في الفقه و الحديث ، له مختصر في تفسير الموطأ و هو كثير بأيدي الناس ، توفي سنة 440هـ [2].

و من العلماء كذلك نذكر موسى بن حماد الصنهاجي المتوفى سنة 535هـ / 1140م بمراكش عرف عنه أنه كان فقيها تولى القضاء و كان راويا لأبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي ، و غيرهم من العلماء ، ومن الفقهاء الذين استقروا في حاضرة الدولة الحمادية أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري الذي ينحدر أصله من مدينة قرطبة الأندلسية فقد ترك هذا الأخير العديد من المصنفات العلمية بالإضافة إلى العالم عمر بن عبد الله بن زاهر الذي استقر في مدينة بونة و عرف برواياته عن شيوخ عصره مثل أبي عمران الفاسي الفقيه ، وأبي عبد المالك بن مروان البوني ، وأبي القاسم إسماعيل بن يربوع السبتي و قد توفي سنة 440هـ / 1048م [3]، و ظلت الدراسات الفقهية في حاضرة بجابة تزدهر على يد العلماء و الفقهاء ذاع صيتهم في العهد الموحدي .

[1] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص257.

[2] ابن بشكوال : الصلة ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، ط1 ، القاهرة ، ج1 ،ص889، الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، 1996 ، ص342

[3] عبد الحليم نفسه : المرجع السابق : ص259-260.

1-التفسير :

جاء اهتمام علماء بجابة بهذا العلم لقيمته الكبيرة في فهم معاني القرآن الكريم و قد جاء اهتمام العلماء المغاربة بهذا النوع من العلم بفضل كتب التفسير المشرقية المتداولة في المغرب منها كتاب الوجيز في شرح الله العزيز لابن عطية (481-542هـ/ 1074-1147) و قد نوه ابن خلدون بكتاب الزمخشري بقوله : "أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق "[1].

و يبدو من خلال كلام ابن خلدون أن تفسير ابن عطية كان من أكثرر تفاسير شيوعا بين الناس حيث يقول : " و جاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها و تحرى ما هو أقرب للصحة منها ، ووضع ذلك في كتاب لتداول بين أهل المغرب و الأندلس حسن المنحنى " [2]، وكان علماء بجاية مقصا للطلبة من الأندلس و البلاد المغربية الأخرى ، و من بين هؤلاء العلماء بن عيسى بن محمد الغزاري ،أحد طلبة بجابة النجباء الذين اهتموا بالمسائل [3] .

بالإضافةإلى الفقيهوالفيلسوف أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي الذي لقب " أبا حامد الغزالي " لأنه تطرق في كتبه إلى كتاب الإحياء و كان كلامه على رأي بعض المؤرخين ، أحين من كلام الغزالي وأسلم ، حتى أن كتابه كان كثير الانتشار بين الناس و هذا

ماهو إلا اعتزاز الناس بصاحبه [4] و الملاحظ أن أبا علي المسيلي كان " قد جمع بين العلم والعمل الورع و بين علم الظاهر و الباطن كما كان تذكرة في أصول علوم الدين [5]

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ،ص .556

[2] ابن خلدون :المصدر نفسه ، ص 555.

[3] القاضي عياض بن موسى بن عياض سبتي : ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، و تعليق و تقديم محمد بن تاويت ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط /ج3 ،ص445

[4] عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص131 ، علاوة عمارة : دراسات في التاريخ الوسيط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2008 ، ص 112.

[5] الغبريني : المصدر السابق ، ص33 ، أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف و تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط1 ، 1989، ص155.

3-الحديث :

أما فيمن كانت لهم شهرة في علم الحديث نجد أبو محمد عبد الحق الأشبيلي ولد سنة (510هـ) و توفي سنة (582هـ) ألف فيها التأليف و صنف الدواوين وولي الخطبة و صلاة الجماعة بجامعها الأعظم ، يوصف برأس المحدثين له تأليف جليلة تداولها الناس مثل كتاب " الأحكام الكبرى في الحديث و الأحكام الصغرى " و له كتاب العاقبة في علم التذكير [3]

ب. علوم اللغة وآدابها :

عرفت الدولة الحمادية في بجاية طوال القرن الخامس هجري أدبية و علمية نشيطة . اللغة : اتخذت الدولة الحمادية اللغة العربية ،لسان الدولة الرسمي ،فأصبحت بذلك لغة التخاطب الأدبي ، على الرغم من أن البلاط الحاكم ذو أصول أمازيغية و الشعب أمازيغي ، إلا أن اللغة العربية عرفت انتشارا و تداولا وسعا باعتبارها لغة القرآن [1]، فكان ذلك نتيجة لعدة عوامل ساهمت في ازدهار اللغة العربية بهذا القرن الخامس هجري بحواضر بلاد المغرب الإسلامي و لا سيما المغرب الأوسط (بجاية) من أهمها :

أولا – الانفتاح الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط في العهد الحمادي بالأندلس وإفريقية و هجرة أبنائها إليها و كذلك إلى بلاد المشرق .

ثانيا– فقد لعبت الهجرات العلمية في العالم الإسلامي دورا كبيرا في ازدهار الحركة الثقافية ، حتى سميت بجاية بمقصد العلماء من كل حدب و صوب و بما حملوه معهم من علوم وآداب سمشير إلى بعضهم في ذكرنا لأهم العلماء الحاضرة [2].

أما عن أهم عامل عرفته بالد المغرب الإسلامي ، هو ما يسمى في المصادر التاريخية "بالتغريبة الهلالية " فقد ساهم النازحون الهلاليون بقسط كبير في تعريب بلاد المغرب الإسلامي و قد تجلى

333

[1] عبد الحليم عويس: ، المرجع السابق ، ص263

[2] رابح بونار : المرجع السابق ، ص 283.

تأثيرهم الدائم لبعضها كقبيلة زناتة و صنهاجة و غيرها ، عاملا فعالا على تعريبها [1]، بذلك سلبية على بلاد المغرب الإسلامي من إفساد ، "عيث و نهب " [2] ، من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية ،إلا أنه في الجانب الثقافي ساهمت هذه الجموع العربية في إضفاء الوحدة في المغرب الإسلامي من خلال أهم عناصر التكوين الثقافي للبلاد ألا وهي اللغة .

1-الأدب:

و بهذه اللغة العربية قدمت بجاية مجموعة كبيرة من الكتاب و الشعراء و الغويين ، فقد أخذ الأدب شعرا كان أم تثرا الصدارة في مجال العلوم الأدبية .

2-النثر :

ومن الكتاب الذين كانت لهم شهرة نجد " ابن العالمي البجائي " و كان كاتبا من كتاب الدولة الحمادية ، وهو ناثر يلتزم السجع في رسائله . و بالإضافة لأبي حفص عمر بن فلفول الذي كان كاتبا ليحي بن عبد العزيز الحمادي وإلى جانبه أبو عبد الله محمد بن أبي دفرير[3].

3-الشعر :

ومن بين الشعراء المشهورين في عهد بني حماد ، منهم ابن حمديس و عمر بن فلفول و علي ابن الزيتوني و يوسف بن المبارك و نذكر أهمهم :

يوسف بن المبارك : ذكر أنه من موالي بني حماد ، و له في مدائحهم من الشعر افتخارا لبني حماد [4]

هناكم النصر و نيل النجاح في يومكم هذا بسمر الرماح

علي بن الزيتوني الشاعر : شاعر المغرب الأوسط و أدبيه ، وألمعيه وأريبه ، وهو صاحب توشيخ ، توشيع ، وتقصيد و تقطيع [1]

---

[1] عبد الحميد خالدي : المرجع السابق ، ص175.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص6 ،ص22

[3] رابح بونار: المرجع السابق ،288 ،289

[4] عماد الدين الأصبهاني : خريدة القصر و جردة العصر ، قسم الشعراء المغرب ، تحقيق محمد المرزوقي وآخرون ، الدار التونسية للنشر ، ط1986،3،ص183.

أبو حفص عمر بن فلفول : ذكرناه سابقا ، ككتاب في عهد العزيز بن المنصور ثم في عهد يحي بن العزيز ، وله عدة أشعار [2]

أبو محمد عبد الحق الإشبيلي :تنزيل بجاية ألف فيها التأليف و بالإظافة لكونه من كبار المحدثين كما رأينا سابقا إلا أنه كان شاعرا أيضا له كتاب مجموع فيه شعره ، كله في الزهد و في أمور الآخرة . والذي كثر تداوله بين أيدي الناس [3]

ابن أبي المليح الطبيب: كان شاعرا أيضا له مقطوعات جالبة للحب سالبة للقلب وله من قصيدة عيدية في الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي يصف جنائبه و قضاءه حق العيد وواجبه مطلعها [4]

وجالت به جرد المذاكي كأنها عذارى ولكن نطقهن تحمحم

ومن الذين وفدوا على مدينة بجاية في العهد الحمادي :

ابن حمديس الصقلي أكبر شعراء صقلية (446هـ-527هـ) لما دخل الشاعر بجاية استقبله منصور الحمادي وأغدق عليه صلاته ، فمدحه الشاعر بشعره ، ويصف منشآته الفنية الرائعة كقصر اللؤلؤة و هكذا كانت قصائده الوصفية لوحات فنية رائعة [5]

ج- العلوم الإجتماعية :

1-التاريخ :

عرفه ابن خلدون " هو مايوقعنا على أخوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم " [6] .

---

[1] الأصبهاني :المصدر السابق ، ص181 ، رشيد بورويبة : الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984،ج3،ص 250

[2] الاصبهاني: المصدر نفسه ، ص 179 ، نفسه "ص250

[3] الغبريني : المصدر السابق ، ص43

[4] العماد الأصبهاني : نفسه ، ص184 .

[5] رابح بونار : المرجع السابق ، ص344-346.

[6] ابن خلدون :المصدر السابق ،ص 14

إلا أن علم التاريخ لم يحظ بعناية كافية من علماء بجاية أيام الدولة الحمادية مثلما حظيت العلوم الدينية واللغوية ، فلم يكتب تاريخ مفصل عن دولة بني حماد في بجاية إلا شذرات نجدها في كتب تاريخ العالم كالبيان المغرب لابن عذاري وتاريخ ابن خلدون وأعمال الأعمال لإبن الخطيب [1]

إلا أن المؤرخ عبد الحليم عويس يذكر في كتابه بعض المؤرخين الذين ارتبطوا بالدولة الحمادية ونجد منهم أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي مؤلف كتاب هام في تاريخ الصنهاجي "النبذ المختاجة في أخبار صنهاجة " و حماد بن إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي ألف كتابا في التاريخ للأمير الحمادي الثامن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علناس ين حماد الصنهاجي [2].

2-الجغرافيا :

أما عن الجغرافيا كثيرا ما يرتبط هذا العلم بالرحلات و الصلات التجارية فكان لابد من اهتمام الحماديين بهذا العلم ، وباعتبار بجاية كانت مقصد العلماء من المشرق والأندلس وكذلك من طرف المغاربة ال ذين يرحلون من المشرق في رحلات علمية ، فضلا عن رحلة الحج ،فضلا عن المعاملات التجارية بالأندلس والمشرق ، فهذا ما يولد ضرورة الاهتمام بالجغرافيا [3].

د- العلوم التجربية :

بلغت العلوم العقلية ببجاية مكانة مرموقة جعلت العلماء يقصدونها من مختلف الأنحاء ومن ضمن العلوم العقلية نجد الرياضيات و علم الطب مرتبطة بالصيدلية و علم الفلك

1- الطب :

ومن بين الأطباء الذين ذاع صيتهم في العصر الحمادي بان أبي المليح الطبيب وذكر أنه طبيب ماهر و اشتهاره بالطب وعلي بن الطبيب [4]، من أشهر الأطباء في بلاط بني حماد

[1] شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص107

[2] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ،ص269

[3] عبد الحليم عويس : المرجع نفسه ،ص270

[4] العماد الأصبهاني : المصدر السابق ،ص184 .

ذكر الغبريني إن الأبحاث في علم الطب كانت تتم وفق قوانين ، مما جعلها مقصد طلبة العلم والأطباء من مختلف الأمصار خاصة الأندلس حيث مارس هؤلاء التطبيب في بجاية وألفوا عدة مؤلفات طبية ، ومن أشهر هؤلاء الطبيب " أبا القاسم محمد بن اندارس "[1]، الذي تبسط للطب طبيبا باحثا جيدا ، له رجز نظم فيه بعض الأدوية ، و يقول عنه الغبريني"أنه كان شرع في نظم الأدوية المفردة من القانون "[2] ،ونبغ في الطب أيضا ابن النباش البجائي وكان ذا عناية بصناعة الطب ذا معرفة جيدة بالعلوم الطبيعية [3]، كما نذكر عمر بن البذوخ أبو جعفر القلعي من أهل قلعة بني حماد كان خبيرا بمعرفة الأدوية العلمية و المفردة وله كتب في الطب منها حواشي على كتاب القانون في طب ابن سينا [4].

2- الفلك :

أما فيما يخص الفلك فقد اشتهر " علي بن أبي الوجال التاهرتي " و الذي عرف بأثاره العلمية الكثيرة خاصة كتاب البارع في أحكام النجوم ولقد ترجم هذا الكتاب إلى الإسبانية و اللاتينية و كذلك كتاب الأرجوزة في الأحكام الفلكية [5].

3- الرياضيات :

أما فيما يخص علم الرياضيات وهو من بين العلوم التي تبين حقيقة دور بجاية الثقافي و الحضاري ، فقد حظى المسلمون في هذا العالم تطورا ملحوظا في علوم الحساب ، الهندسة الجبر ، الميكانيك و حساب المثلثات ، فنقلوا أصول هذه العلوم من الإغريق و الهنود ثم عكفوا على دراستها و الاستفادة

[1] هو أبو القاسم محمد بن أحمد محمد الأموي لمعروف بأبن اندارس هو من أهل مرسية ، ورد على بجاية في عشر الستين و ستمائة مستوطنا ، توفي بتونس سنة 674هـ (الغبريني : المصدر السابق ص75)

[2] الغبريني : المصدر السابق ، ص76

[3] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خالد البجائي ، سكن مرسية من مدن الأندلس مدة ، توفي أواخر القرن الخامس (موفق الدين ابو عباس أحمد ابن أبي اصبيعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ،دار مكتبة الحياة ، بيروت ،ج2،ص80)

[4] رابح بونار : المرجع السابق ،ص278.

[5] رابح بونار مرجع نفسه ، ص289، عبد الحليم عويس : المرجع السابق ،ص 271.

منها [1] . لذا اتسمت بجاية في هذه الفترة المزدهرة من عمر الدولة الحمادية بالتطور الحضاري و الثقافي حتى غدت حاضرة من الحواضر الإسلامية التي يفد عليها الطلبة من كل الأقطار ومن مظاهر تفوق بجاية ي هذا الميدان وجود زواد اروبيون استفادوا من دراسة علم الرياضيات في بجاية منهم الرياضي " ألبيزي لونارد فيوناتشي " (1180م) باستدعاء من والده ليقيم فيها [2] ، فاهتم بتعليمه و أوكله لأستاذ يدعى علي البجائي ليعلمه و يثقفه فانكب على دراسة مادة الحساب والرياضيات بصورة خاصة ، وعاشرة التجار و الحرفيين البجائيين حتى تعلم وأخذ منهم ما عرف طريقة العد السريعة مستخدما الأرقام الهندية [3] .

ومحمد بن محمد بن أبي بكر القلعي ، كان عالما بالفقه والفرائض والحساب ، توفي ببجاية في عشر الستين و ستمائة[4] .

[1] يحي بو عزيز : الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط3 ، 2009،ص 164.

[2] زيغريد هونكه : شمس االعرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقي ، دار الجبل بيروت ، ط8 ، 1993 ، ص 95-96

[3] يحي بوعزيز : المرجع السابق ، ص 165 .

[4] التنبكي : المصدر السابق ، ص381.

الفصل الثاني

الحياة الثقافية في تلمسان الزيانية

المبحث الأول : لمحة جغرافية وتاريخية عن مدينة تلمسان الزيانية:

أ – لمحة جغرافية:

تلمسان حاضرة لا تقل أهمية عن باقي الحواضر، وقد ورد ذكره في العديد من كتب الجغرافية والرحالة.

فقد ذكرها ياقوت الحموي (ت 626 هـ) بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوضا للام وهي بالمغرب و هما مدينتان متجاورتان مصورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب و اسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب الحاكم وأصناف من الناس واسم القديمة أغادير يسكنها الرعية[1]، أما ابن خلدون فيقول بأن تلمسان في زناتة مركب من كلمتين،تلمسان،ومعناها تجمع اثنين البر والبحر[2] أما الزهري (ت القرن6 هـ) ، فيذكر أن تلمسان مدينة عظيمة فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة (و هي كثيرة الزرع ولها أعمال عديدة ودار مملكة يعمل فيها من كل شيء بديع[3]، و يقول القزويني أن تلمسان هي قرية قديمة بالمغرب والقرية هي التي ذكرها الله تعالى .في قصة الخضر و موسى [4] ،الإدريسي أيضا يذكر بأن تلمسان أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة _ مثل ما ذكر ياقوت الحموي _ويفصل بينهما سور، وهي مدينة حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومارباح تجارتها و لم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات [5]، وفاس[6] ،أكثر من أهلها أموالا و لا أرفه منهم حالا[7].

---

[1] ياقوتالحموي: المصدر السابق ،ج2،ص44.

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص102.

[3] الزهري : المصدر السابق ، ص144.

[4] القزويني : المصدر السابق ، ص.172

[5] أغمات : ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، وهي مدينتان متقابلتين كثيرة الخير ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل (ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج1، ص225)

[6] فاس : مدينة عظيمة محدثة ، قاعدة المغرب ، أسست في عهد إدريس بن إدريس ، ولم تزل منذ تأسيس دار علم ومعرفة (الحميري : المصدر السابق ،ص434-435)

[7] الإدريسي : المصدر السابق ، ص100-101

أما أبي الفدا فيذكر أن تلمسان مدينة مشهورة مسورة في سفح جبل ولها ثلاث عشر باباو ماؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها، وفي خارجها أنهار و أشجار، وهي قاعدة مملكة ولها حصون كثيرة أشهرها هنين [1] ،و وهران [2] ،وملوك تلمسان من بني عبد الواد [3] ،من زناتة[4] ،و تلمسان في كتاب الاستبصار لصاحبه (ق6 هـ) أنها مدينة عظيمة قديمة فيها أثار كثيرة أزلية تنبئ أنها دار مملكة لأمم سالفة ، و تذكر المصادر السابقة أنها من قبيلة زناتة و حاوليها قبائل أخرى من البربر ،فهي كثيرة الخصب ،رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم [5] ، ومدينة تلمسان العظيمة جاءت على لسان العبدري (ت نحو سنة 720 هـ)الذي يذكر بأنها مدينة كبيرة سهلية جبلية ،جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور ولها جامع عجيب مليح متسع وبها أسواق قائمة وأهلها ذو ديانة ،وهذه المدينة بالجملة ذات منظر ومخبر وأقطار متسعة ومبانيها مرتفعة[6]، أما عن موقعها الجغرافي فتقع مدينة تلمسان في الإقليم الغربي [7]، أما عن طقسها فهي كثيرة البرد والثلج في زمن الشتاء [8]، ومدينة تلمسان مدينة علم وخير و لم تزل دار العلماء و المحدثين[9]، أما المؤرخ الجغرافي المتأخر حسن الوازن (ت720) فيذكر أن تلمسان حكمها أمير ذو شأن كبير يسمى يغموراسن بن زيان و ورثه عنه أحفاده ، ولها ميناءان مشهوران جدا وهما وهران وميناء المرسى الكبير يتوافدون عليهما تجار من جنوة

[1] هنين : ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب (ياقوت الحموي :نفسه ،ج5،ص419),

[2] وهران : مدينة على ضفة البحر ، بناها جماعة من الأندلسيين سكانها قبائل من البربر يقال لهم بنو مسكين (مؤلف مجهول :المصدر السابق ،ص133)

[3] بني عبد الواد :أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى جدهم الذي يتعبد مترهبا في الوادي ، فأطلق عليه لقب عابد الوادي ، كما كان لهم تاريخ عظيم في الفتوحات الإسلامية (يحي ابن خلدون :بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، الجزائر ، 1903، ج1، عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7، ص59).

[4] أبي الفدا :المصدر السابق ، ص137,

[5] مؤلف مجهول : نفسه ، ص179.

[6] العبدري : المصدر السابق ، ص27-28 .

[7] محمد الطمار : تلمسان عبر العصور و دورها في سياسة و حضارة الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007، ص11.

[8] الزهري : المصدر السابق ، ص114.

[9] مؤلف مجهول : المصدر نفسه ، ص188.

والبندقية وأما عن أرضها فهي أماكن ازهرة والبقعة خصبة[1]، و خلاصة القول إن تلمسان عامرة آهلة بالسكان وموقعها المهم جعل منها محل أنظار وطمع الأعداء فيها

ب –لمحة تاريخية:

تعتبر مدينة تلمسان من أعظم مدن المغرب الأوسط،و قد مرت بمراحل تاريخية كثيرة كغيرها من باقي مدن العالم. كما شهدت حركة ثقافية حضارية وحتى عمرانية عظيمة، وأول من بناها الرومان وكانت تسمى بوماريا[2]،و كذلك تدعى تلمسان" مدينة الجدار "أو " الجدار "فقط أي الحائط ويعنون بذلك أنها مسورة أي محاطة بالأسوار ،مما يدل على قدمها لقلة المدن المسورة في العهد القديم خصوصا بالمغرب، و الجدار هو الذي ذكر بالقرآن الكريم في سورة الكهف قال تعالى " : **فَانطَلَقَا حَتَّى ۙإِذَا أَتيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيد ۙأَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْت َلا اتخذت عَلَيْهِ أَجْرًا"** [3]،في قصة الخضر وموسى عليهما السلام [4]،و يذكر أيضا ابن خلدون أن تلمسان هذه المدينة هي قاعدة المغرب الأوسط وأما بلاد زناته إختطها بنو يفرن و ما يزعم بعض العامة من ساكنها أنها أزلية البناء[5]، و دراستنا عن تلمسان في العهد الزياني (633هـ-962هـ/1235م-1554م) و يعود بنو عبد الواد إلى قبيلة زناته كما أشرنا . و الدليل التاريخي على ظهورها في مسرح الأحداث التاريخية في بلاد المغرب الأوسط هو أن معركة العقاب (609هـ/1212م)[6]،و التي تعتبر من أهم العوامل التي أدت إلى تفكك الدولة الموحدية وتصدع الصرح الذي شده عبد المؤمن ومن خلفه من كبار هذه الدولة ومن العوامل التي أضعفتها أيضا هو الصراع حول الحكم خاصة مع مجيء حكام ضعاف وبهذا كان نفوذ السلطة الموحدية قد

[1] الوزان : المصدر السابق ، ص7-10.

[2] جورج مارسي : مدن الفن الشهيرة تلمسان ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل ، البليدة ، 2004، ص8.

[3] سورة الكهف : الآية 77.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ،ج7، ص102.

[5] ابن خلدون: المصدر نفسه ، ص102

[6] معركة العقاب : هي معركة قامت بين ملوك الإسباني النصارى و بين ملوك الموحدين انتهت بهزيمة الموحدين و بهذا سقطت الأندلس من حكم الموحدين ونتج عنهم خسائر بشرية و مادية كثيرة (عبد الرحمن ابن خلدون : نفسه ، ج6، ص331).

ضعف وتلاشى شيئا فشيئا ولم يبقى إلا في تلمسان[1]، كان يحكم قبيلة عبد الواد أيام الدولة الموحدية جابر بن يوسف وهو عم ايغموراسن فدخل هذا الأخير تلمسان وأعلن الدعوة للمأمون الخليفة الموحدي وبعث إليه معلنا طاعته فعهد له المأمون بتسيير أمور تلمسان و ما يليها من بلاد زناته وكان ذلك عام (627.هـ -1229م) [2]،و هذه هي اللبنة الأولى من تأسيس دولة بني عبد الواد المستقلة إذ قال صاحب كتاب بغية الرواد " : إذ أن تلمسان أصبحت في مطلع شمسها وفاتحة فرقأنها[3] " ثم ألت الإمارة بعد وفات إلى ابنه الحسن (629 هـ)فأخيه عثمان(630 -1 63هـ)،ثم الي ابن عمه زيدان بن زيان (631-633هـ) ، ثم إلى يغموراسن (633هـ-1236م[4]). وقد ذكر ابن خلدون في كتابه العبر " :بأنه أشد هذا الحيب أساو أعظمهم في النفوس مهابة و إجلالا وأعرفهم بمصالح قبيلته[5] ، فقد جعل من تلمسان قاعدة إمارة التي أخذ يوسع رقعتها على حساب الحامية الموحدية الضعيفة[6]،كما مرت بأدوار تاريخية هامة ، ففي الدور الأول كانت ضعيفة وذلك لأن: موقعها الجغرافي كان وسطا بين دولتين هما الحفصية و المرينية فكان حالها كالمحصور بين شقي الرحى ،و قلة الأنصار في بداية عهدها[7]، ودام الطور الأول مائة وأربعة سنوات أي من (633 هـ-1235م) إلى(737هـ-1336م)، من تاريخ قيام الدولة إلى سنة سقوط تلمسان في قبضة الحسن المريني وقتله للسلطان العبد الوادي أبي تاشفين عبدالرحمن بن أبي حمو موسى الأول[8]، الدور الثاني كانت الفترة الزمنية قصيرة جدا ودامت أربعة سنوات أي من سنة(749-753هـ) ،ولكنها فترة جديرة بها ولأنه يختلف عن الدور الأول في كونه بدأ بعد فترة جديرة بها ولأن هي ختلف عن الدور الأول في كونه

[1] عبد الحميد حاجيات : ابو حمو موسى الزياني حياته وأثاره ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1982، ص11.

[2] بوزياني الدراجي : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ، 1993، ص25.

[3] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص16.

[4] عبد الحميد حاجيات : المرجع نفسه ، ص13.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7، ص16.

[6] محمد الطمار : المرجع السابق ، ص84.

[7] بوزياني الدراجي : المرجع السابق ، ص26.

[8] محمد الطمار : المرجع نفسه ، ص126.

بدأ بعد فترة زمنية دامت تسع سنوات انمحت خلالها دولة بني زيان وأيضا تمتاز بالاستقلال التام عن نفوذ الدولتين الحفصية والمرينية[1]، أما الدور الثالث وهو دور الأبهة والسلطان المطلق ويعتبر بمثابة الذروة من حيث النظم، و السيادة المطلقة ولقد بذل الحاكم أبو حمو الثاني خلال هذا الدور طاقة جبارة وهذا كي يجعل من دولته منارة للعلم والفن والأدب في المغرب الإسلامي والاهتمام بشؤون الدولة السياسية وخاصة الجيش وبهذا كانت حياته حافلة بالحروب وقد قتل في معركة بنيه وبين بني مرين وحليفهم أبي تا شفين بن عبد الرحمن ابنه العاق[2]، و أخيرا الطور الرابع طور الانحدار و السقوط ودام171 سنة أي من سنة791هـ -962هـ ،ويظهر لنا ضعف هذا الطور من خلال سياسة الحكام الفاسدة ووصول حكام ضعاف إلى الحكم كان همهم هو السلطة والمال زد إلى الانشقاقات العائلية والتي كانت العدو الأكبر لدولة بني عبد الواد[3]، و بهذا فالملاحظ لتاريخ دولة بني زيان يلاحظ أن موقعها الجغرافي رغم أنه إستراتيجي إلا أنه كان عائق بحيث كانت تلمسان تتوسط بلاد المغرب الإسلامي وجيرانها الأعداء كانوا ينهبون من أراضيه، ورغم ذلك ،كانت تلمسان في العهد الزياني من أرقى العصور من حيث الثقافة والعلم وأيضا العمران و قد و صفها ابن خلدون وقال " : فاختطوا بها القصور الموقنة و المنازل الجميلة و إغترسوا الرياض و البساتين واجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم و الصنائع ، فنشأ بها العلماء و اشتهر بها الإعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية" [4]، و ليتولى حكمها بعض الحكام العظام الذين أرادوا لتلمسان أن تكون حاضرة تفوق حواضر المغرب الإسلامي و الأندلس

المبحث الثاني :دور الحكام في بناء الحياة الفكرية في تلمسان الزيانية

شهدت مدينة تلمسان حركة فكرية لا مثيل لها خاصة في العهد الزياني فهي حاضرة من حواضر المغرب الأوسط التي نالت شهرة كبيرة، فهي تعد واحدة من المراكز التي تشع ببريق العلم و المعرفة

[1] بو زياني الدراجي : المرجع السابق، ص34.

[2] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص159-189.

[3] ابن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ط1، 2001، ص70.

[4] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص92.

كما لعبت دوار في إحياء العلوم و انتشارها فقد نبغ عدد من العلماء و الفقهاء و بما أن تلمسان الزيانية لها علاقات مع جيرانها فان الرحلة العلمية ، ظهرت بشكل ملحوظ في هذه الحاضرة

إن الدارس للحركة الثقافية بمدينة تلمسان يستنبط أن هناك مجموعة من العوامل المساعدة على إحيائها و الأستاذ عبد العزيز فيلالي يذكر بأن مدينة تلمسان في العهد الزياني عرفت ازدهارا ثقافيا ملحوظا و نهضة أدبية كبيرة كما وصف الباحثون هذه النهضة بصفات شتى (.منها الازدهار الثقافي والنشاط العلمي والحركة الفكرية وأيضا النبوغ الأدب)[1]، ومن العوامل المساعدة هي عناية الملوك الزيانيين بالعلم والمعرفة فقد كان معظم الحكام يولون اهتماما بالغا بالجانب الثقافي فحرصوا على بناء المدارس وجلبوا إليها أكابر العلماء للتدريس بها والإنفاق على طلبتها[2]، النزعة العلمية الثقافية التي تميز بها سلاطين و أمراء بني زيان الذين كان لهم إرادة قوية و رغبة شديدة وجهود مستمرة في الاعتناء بالحركة الفكرية في ميدان الفنون والآداب والعلوم الشرعية على وجه الخصوص و هذا ما يجعلهم يشجعون العلماء و الفقهاء و لاسيما منها العدوة الأندلسية[3]،و بهذا كان أمراء بن زيان من العلماء والفقهاء الأجلاء و أولهم الحكام يغمو راسن فهو أول من عمل على تشجيع الحركة الثقافية (633-682هـ/12361283م)، و التعليمية بمدينة تلمسان فحرص على استقدام رجال العلم إلى عاصمته وشجعهم على التدريس والتأليف بعد إعلاء رتبهم كما أغدق عليهم الأموال و الهدايا فاستقر في عهده بعاصمة تلمسان الشيخ العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي كبير علماء زمانه[4] ،حتى أن الحكام خرج إليه بنفسه ويقول التنسي عن هذا اللقاء " :ما جئتك إلا راغبا منك أن تنقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج" [5]، و هذا السلطان يغمو راسن يكنى

[1] عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007، ج2، ص317.

[2] عبد القدر بوحسون : العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ-1235هـ-1554هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في تاريخ المغرب الإسلامي ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان ، الجزائر ، 2007-2008، ص19

[3] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص319. [1]

[4] عيسى بن الذيب : المرجع السابق ،ص147. [2]

[5] محمد بن عبد الله التنسي : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، تحقيق و تعليق محمود آغا بوعياد ، موفم للنشر ، الجزائر ،2011، ص126.

أبا يحي بن زيان فقد كان آية من آيات في رجولته وجرأته ودهاءه ومواقفه لأعدائه[1]،كما انه اهتم بشؤون العلماء و أغدق عليهم الأموال والهدايا والجاريات بل وحتى كانت المنافسة بين السلاطين في اختيار كبار الكتبة والأدباء والفقهاء وإدراجهم في المجالس العلمية و الدواوين[2]، ويقول ابن خلدون عن الحاكم يغمو راسن بن زيان انه اشد هذا الحي بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة و أجلالا و أعرفهم بمصالح قبيلته و أقواله مكاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة تولى أمر تلمسان وادخل جميع القبائل تحت سلطانه بأحسن السيرة في الرعية واستمالهم[3]، وهذا دليل على حرصا يغمو راسن على نشر العلم والمعرفة في أرجاء تلمسان على يد أورع واتقى العلماء.

كان ايغمو راسن شديد العناية يقرب العلماء ويشجع الأدباء فكان يدخل المسجد الجامع لسماع الدروس التي كان الشيوخ يلقونها على الطلبة ولاسيما دروس التنسي[4]، وكان هو ليتولى من بعده ابنه عثمان بن ايغموراسن (631- 703هـ /1283-1303م)، الآخر شديد الاعتناء بالعلم و العلماء فكان مجلسه يضم الكثير منهم [5]، أما ابن الأحمر في كتابه تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان فيذكر أن عثمان بويع بعد موت أبيه وكان نهبهل سيوف بني مرين لأبيه يغموراسن[6].

أما ابن خلدون فيذكر أنه تولى بعد أبيه فبايعه العامة و الخاصة وأعطوه صفقة إيمانهم[7]، ونحى منحى والده في تشجيع ذوي العلم والفقه فاحتفظ بمن كان في بلاط أبيه من العلماء.

و الفقهاء والأدباء[8] ،

---

[1] محمود مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار ، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ط1، 1988،مج1، ص533.

[2] عبد العزيز فيلالي :المرجع السابق ،ص321.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ،ج7، ص102-106.

[4] محمد الطمار: المرجع السابق ،ص98.

[5] عبد القادر بوحسون : المرجع السابق ،ص19.

[6] ابن الأحمر : المصدر السابق ،ص98.

[7] عبد الرحمن ابن خلدون : نفسه ،ص122.

[8] عبد العزيز فيلالي : المرجع نفسه ، ص321.

كما أن هذا السلطان أوصاه والده بالسلم مع المرينيين[1]، أما السلطان أبي حمو موسى الأول (707 هـ-718هـ) ، فكان مشهورا بالحزم والشجاعة والإقدام والتقوى وحب العلم وفي أيامه حضيت الدولة بمسالمة بني مرين فأمنت من خطر الحروب والغارات واستعادت قوتها وبهجتها[2]، فقد كان يهتم بالجانب الثقافي ويجتهد في استقدام العلماء[3]، فلما ورد عليه ابن لإمام[4]، احتفل بهما وبنى لهما مدرسة سميت باسمهما كما كان يكثر من مجالستهما[5]،كما يذكر عبد العزيز فيلالي أن الحاكم أبي حمو موسى الأول جعل مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر وقرب إليه عدد من العلماء الأجلاء و أراد لعاصمته أن تضاهي فاس وتونس وغرناطة في المجال لحضاري[6]،كما أن الحياة الفكرية في عهده عرفت ازدهارا بحيث كان لانتشار العلم في المدارس و الزوايا و المساجد و في مختلف الأطوار كما كان الطلبة يتوافدون إليها من كل حدب و صوب وأيضا أمر أبو حمو موسى الأول بناء مدرسة و في تلمسان و تعد هي الأولى التي بناها و أسسها بنو عبد الواد[7]،كما جاء على لسان المؤرخ يحي ابن خلدون أن الحاكم أبي حمو الأول هو السلطان المفرج لشدة ومقاتل بسيفه لأهل الردة الذي عمل الحق ثم دوخ الشرق وسلك الإنجاد والأغوار وشيد الأسوار[8].

كما عمل الحاكم أبو تاشفين عام (718هـ- 737 هـ)،على تقريب العلماء إليه فهو ملك تبجح في الأصالة و الجلالة[9]، وهو أيضا واصل في الاعتناء بالعلم فبني مدرسة سميت باسمه (المدرسة التاشفنية) ،و كان يحرص على حضور مجالس العلم كمجلس ابني الإمام ووفد إليه عدد من العلماء

---

[1] محمد الطمار : المرجع السابق ، ص102.

[2] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ،ص16.

[3] عبد القادر بوحسون : المرجع السابق ، ص20.

[4] ابني الإمام : وهما أبي زيد عبد الرحمن المتوفى سنة (743هـ) وأبو موسى عيسى بن محمد (توفي سنة 748هـ)-(يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 130).

[5] التنسي : المصدر السابق ،ص139.

[6] عبد العزيز فيلالي :المرجع سابق ، ص321-322.

[7] عبد الحميد حاجيات : المرجع نفسه ، ص36.

[8] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص126-127.

[9] ابن خلدون : المصدر نفسه ، ص132.

وأكرمهم[1] وهذه المدرسة التي بناها كانت غاية في الجمال الإبداعي وعين الحاكم عليها مدرسين أمثال أبي موسى المشدالي وذلك لينتشر العلم والأدب في عاصمته التي كان يريد أن تضاهي تونس و فاس وغرناطة وذلك في الميدان الثقافي فحسب بل في الفن المعماري أيضا[2]، و بما أننا ندرس دور الحكام في بناء الحياة الفكرية في مدينة تلمسان الزيانية فيجدر بنا التكلم عن الحاكم أبي الحسن المريني الذي استولى على تلمسان والمغرب الأوسط سنة 737 هـ، فكان مشجعا هو الآخر للعلم والعلماء فكان مجلسه محافلا بهم[3]،كما انشأ مدرسة العباد سنة (748 هـ -1348م) فجلب لها أساتذة وأجرى على طلابها المنح والأرزاق واقتدى ابنه أبو عنان به في تشييد المدارس والمؤسسات العمومية[4] ،ومن الحكام الزيانيين الذين كان لهم أثر إيجابي على النشاط العلمي منهم الحاكم العالم الفقيه أبي حمو موسى الثاني والذي لاتنفك جميع الكتب في التحدث عنه فقد برع في الأدب وفن القصيدة حيث كان يقرض الشعر ويحب أهله وله تأليف حسنة في السياسة كما قام بتلخيص كتاب بعنوان "سلوان المطاع "لا بن ظفر وازد عليه فوائد وسماه" نظم السلوك في سياسة الملوك"[5]،أما عن الحياة الفكرية في عهده كانت نفسها في عهد سابقيه بحيث كان يعتني بالعلم وأهله كما امتاز بإلمامه للعلوم كما كان مستعدا للمساهمة في النشاط الأدبي ونظم الشعر فحظي العلماء والطلبة بعطفه وتشجيعه ونال الكتاب والشعراء من عطاءه وكرمه [6]،وبهذا كانت تلمسان في عهده بفضل علماءها ومدارسها مركزا علميا ثقافيا هاما وبلد إشعاع حضاري يضاهي أهم مراكز المغرب الثقافية، والملاحظ أن السلطان أبي حمو الثاني (723هـ791هـ-1322م1389م) ،جلس على العرش من سنة(760هـ) إلى غاية (791هـ)، وهي فترة طويلة تدل على حسن تبصره ومدى حنكته السياسية أيضا

[1] عبد القادر بوحسون :المرجع السابق ، ص20.

[2] محمد الطمار : المرجع السابق ، ص132-133.

[3] محمد بن تاويت الطنجي : رحلة ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2004، ص58.

[4] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص322.

[5] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني : أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى سقا وآخرون ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة و النشر ، القاهرة ، 1939، ص238-249.

[6] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص159.

بالإضافة إلى اهتمامه بالشؤون الثقافية واشتهرت تلمسان بتنوع العلوم الفكرية والأدبية وبلغت أوجها ورقيها أكثر من أي عصر من عصور الدولة الزيانية فقد كان السلطان نفسه من أهل العلم والمعرفة كما أسس خزانة يجمع فيها الكتب[1]، و أيضا كانت له ليالي المولد النبوي الشريف من الليالي المشهودة و وصفه المؤرخين على أنه كان طالب للعلم في صغره معتنيا به في كبره مكرما للعلماء في أيام دولته مجلا لهم وأنه تمسك بالعلم في سماء المعالي[2] ،والكتاب الذي ألفه وذكرناه سابقا كانت وصية لولى عهده أبي تاشفين الثاني والحكام من بعده[3]، و ذكرنا أنه كان مولعا بفن القصيدة بحيث كانت له قصائد الرسول(ص) و مما قال نذكر:

قفا بين إرجاء القباب و بالحي و في ديار للحبيب بها حي

و عرج على نجد و سلع و ارمة وسائل فدتك النفس في الحي عزمي [4]

وبهذا نبغ في عهده فحول النظار و أجلة العلماء و الكتاب وبنى هو الآخر مدرسة إلى جانب أضرحة والده أبي يعقوب بتلمسان و سماها المدرسة اليعقوبية [5] ، و لا ننسى بالذكر الحاكم أبوزيان محمد الثاني (796هـ -801هـ-1394م1399م) و الذي شجع على التأليف ونسخ الكتب و اقتناءها و حبسها بخزانته التي شيدها بالجامع الأعظم بتلمسان[6]، كما اهتم بالمناظرات العلمية بين العلماء واهتم أن تجري داخل قصره، فكان هو الآخر كسابقيه يجل العلم فقد ذكره التنسي بقوله "كلف بالعلم حتى صار منهج لسانه، وروضة اجفانه فلم تخلوا حضرته من مناظرة و لاعمدت الا بمذاكرة ومحاضرة"، كما نسخ بيده نسخا من القرآن الكريم و نسخة من صحيح البخاري كما كان له كتاب تحت عنوان كتاب " الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة " [7]

---

[1] محمد الطمار : المصدر السابق ، ص210-211.

[2] عبد العزيز فيلالي : المصدر السابق ،ص323.

[3] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص186.

[4] التنسي : المصدر السابق ، ص164.

[5] التنسي : المصدر نفسه،ص179.

[6] عبد العزيز فيلالي :المرجع انفسه، ص323.

[7] التنسي : المصدر نفسه ،ص211.

و بهذا حرص الحكام الزيانيين على إقامة مجالس العلم لتفقه وتعلم الطلبة وهنا ذكرنا بعض الحكام و ليس كلهم وخاصة الذين طبع التاريخ أسماءهم في المجال الفكري الثقافي.

المبحث الثالث :المراكز التعليمية:

تعد المراكز التعليمية من أهم مظاهر الازدهار الثقافي في مدينة تلمسان، باعتبارها حاملة لمختلف العلوم وجالبة العلماء وطالبي العلم ، فقد عرفت حاضرة تلمسان كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي المؤسسات المتداولة لطلب العلم كالمساجد و الكتاتيب و المكتبات إلا أن في العهد الزياني ظهرت مؤسسة أخرى عرفت انتشارا واسعا ألا و هي المدارس.

1- المساجد:

لقد تحدثنا فيما سبق عن المسجد و دوره الفعال في مختلف مجالات الحياة منها السياسية و الاجتماعية و الدينية للدولة الإسلامية وكيف كانت هذه المؤسسة التعليمية تحظ ببحظ وافر من العناية و الاهتمام من قبل الحكام و العلماء و الطلبة، اشتهرت تلمسان بعدة مساجد أدت دورا كبيرا في نشاطا لحياة الثقافية التي بنيت في عهود مختلفة في العهد الإدريسي والمرابطي[1]، و من أهمها مسجد أغادير الذي بناه إدريس الأول، مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى

فبعد ما غزا إدريس الأول تلمسان و اختط مسجدها ، وصنع من بره الذي كان مكتوب عليه «هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع و ستين ومائة[2]»

[1] رشيد بورويبة : " جولة عبر مساجد تلمسان " ، مجلة الأصالة ، العدد 26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينيو و الأوقاف ، تلمسان ، 2011،ص17.

[2] ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص50.

أما صومعته فبناها يغموراسن بن زيان الذي استأذن في كتابه اسمه عليه ،فقال" علم ذلك عند ربي "[1]، وذلك من أهم مساجد المغرب الأوسط ، المسجد الجامع أو الأعظم بتلمسان بناه يوسف بن تاشيفن المرابطي سنة(473 هـ/ 1080 م) ،وعدله ابنه علي بن يوسف سنة (530هـ/1335م)، و هو عبارة عن تحفة فنية رائعة ، عليه مسحة أندلسية[2]،و قد أضيفت له زيادات عديدة، كالصومعة في عهد يغمو راسن بين (665هو 668 هـ)[3]وكان لهذا المسجد دورا كبيرا في تنشيط الحياة العلمية بالمغرب الأوسط في عهد بن زيان. كما كانت هناك مساجد أخرى كمسجد ابني الإمام الذي بناه أبو حمو موسى الأول ومسجد إبراهيم المصمودي الذي قام بتأسيسه أبو حمو موسى الثاني[4].

كما أنشا أبو الحسن المريني عدة مساجد كجامع القصبة الذي قال فيه ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ /1379م) أنه كان يشتمل على محاسن لم تجتمع في مثله، من حسن وضعه وجمال شكله ، وجامع سيدي مدين(جامع العباد) ، الذي اتصف هو الأخر بالحسن[5]، و إضافة إلى هذه المساجد،كانت هناك مساجد أخرى كثيرة ،أدت أدوارا هامة في المجال الثقافي و العلمي ،حتى أن بعض المؤرخين يذكرون أنه كان بمدينة تلمسان وحدها حوالي ستين مسجدا[6]،و في هذه المساجد تبدأ المرحلة الثانية من التعليم التي تلي مرحلة الكتاب ، فبعدما يكون الطالب قد حفظ القرآن و مبادئه ، تأتي مرحلة تخصص الطالب في علم معين على يد شيوخ و علماء بارزين ، ففي هذه المرحلة للطلبة الحرية في اختيار مواد الدراسة و الأساتذة ، معا لتأكيد على تفضيل مادة الفقه عن

[1] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص207، التنسي : المصدر السابق ، ص125.
[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج1، ص146.
[3] التنسي : المصدر السابق، ص126.
[4] عبد العزيز فيلالي :مرجع نفسه ج1، ص147.
[5] محمد بن مرزوق التلمساني : المسند الصحيح في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تحقيق ماريا خيسو سبيغرا، تقديم محمود بو عياد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981، ص402-403.
[6] عبد العزيز فيلالي : المرجع نفسه ، ج1، ص148.

غيرها من المواد ما يؤكد على ذلك الونشريسي بقوله" من لايعرف الفقه لايعرف غيره "[1]،كما كان للتوجه المذهبي والسياسي للدولة دور في تحديد مضمون البرامج الخاصة ، فقد تدخل الأمراء الزيانيون أحيانا لمنع تدريس بعض العلوم التي تخالف المذهب المالكي[2]، فإن المواد المدروسة عمليا فيا لمساجد التلمسانية ، موزعة بين مختلف العلوم من علوم دينية وعقلية و طبيعية.

كما اهتم الحكام الزيانيون بالبحث وجلب مدرسين أكفاء ومحاولة استقطابهم للتدريس بمساجدها ، فقط طلب الحاكم " يغمراسن " من العالم أبي إسحاق بن يخلف التنسي سنة 680 هـ،القدوم و التدريس بالجامع الأعظم وكان يذهب بنفسه لحضور دروسه في الجامع الأعظم و كذلك محاولة أبا حمو موسى الثاني باستقدام العلامة ابن خلدون[3]

2- الكتاتيب:

كان المكتب أو الكتاب ، أهم المؤسسات التعليمية التي يتلقى فيها الصبي مبادئ العلوم و بخاصة حفظ القران الكريم.

كان الكتاب أول أمره مكانا في المسجد في زاوية من زواياه ، وبعد ذلك انفصل في أماكن مستقلة ، فقد كره كثير من الفقهاء تعليم الصبيان في المساجد[4].

يرى ابن سحنون أن مواد الدراسة الأساسية تشمل إعراب القران و الشكل والهجاء ،والخط الحسن ، القراءة الحسنة ،ترتيل القران، ومواد إضافية تشمل الحساب و الشعر و العربية وكلام العرب و أخبارهم [5]، إلا أن أهم مواد الدراسة بالكتاب هو القرآن الكريم ، و قد علق ابن خلدون : « هو مذهب حسن ، إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك الأحوال على ذلك بقوله ووجه ما

---

[1] أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس و المغرب ، اشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1981، ج8، ص252.

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج1، ص344، 335.

[3] بسام كامل عبد الرزاق شقدان : تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ) مذكرة لنيل شهادة الماجيستر ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2006، ص225-226.

[4] الونشريسي : المصدر السابق ، ج7، ص83.

[5] محمد بن سحنون : المصدر السابق ، ص102.

اختصت به العوائد من تقديم القرآن، ... و خشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن ...فربما عصفت به رياح الشبية ،فألقته بساحل البطالة فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن له ، لئلا يذهب خلوا منه، و لو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم و قبوله التعليم ، لكان هذا هو المذهب ... أو لما اخذ، به أهل المغرب»[1]،و أفادت إحدى الأبحاث أن هذه الطريقة كانت سائدة في العهد الزياني منذ القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي ،و لكنها تغيرت بوصول علماء الأندلس إليها واستقرارهم فيها و امتهانهم التعليم ذلك أن أهل الأندلس، أفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر و امتهانهم التعليم[2]، و الترسل ، و مدارسة العربية من أول العمر،حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي، و قصروا في سائر العلوم ، لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم و أساسها، فكانوا كذلك أهل خط وأدب بارع أو مقصر،على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا »[3]، فصار المغاربة يعلمون الأطفال في الكتاب رواية الشعر و الترسل و قوانين اللغة العربية النحو و الحساب ، إلى جانب القرآن والحديث[4]،و بذلك يدخل الصبيان مرحلة جديدة مختلفة كل الاختلاف في مناهجها و موادها التعليمية عن مرحلة الكتاب.

6 – الزوايا:

الزاوية في الأصل ركن البناء ، و يطلق مصطلح الزاوية على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، حيث تتميز بأنها ذات طابع ديني وثقافي واجتماعي إذ تحتوي على غرفة للصلاة ، و غرفة لتلاوة القران و تحفيظه، و غرف مخصصة لضيوف الزاوية و للحجاج وللمسافرين والطلبة[5]، فقد لعبت الزوايا دورا لا يقل أهمية عن باقي المؤسسات التعليمية الأخرى في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط و نظرا لدورها لكبير في مجال التعليم فقد حظيت باهتمام كبير من قبل حكام الدولة الزيانية

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1، ص742-743.

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2، ص346.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر نفسه ، ج1، ص742.

[4] عبد العزيز فيلالي : المرجع نفسه ، ج2، ص346.

[5] محمد نسيب : زوايا العلم و القرآن ، دار الفكر ، الجزائر ، ص27.

من خلال العناية بها و الإنفاق عليها و إكرام شيوخها، و التبرك بهم في حياتهم وحتى بعد وفاتهم ، مثلما كان يفعل السلطان يغمارسن بن زيان مع الكثير من المتصوفة[1]، إلى جانب زاوية الأمير أبي يعقوب التي بناها أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده ، بجانب المدرسة اليعقوبية[2]،زاوية الحسن بن مخلوف الملقب بأب ركان يتلمسان[3]، كما تحدث الشيخ الإمام قاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقباني عن جماعة من الفقراء يجتمعون بأثر صلاة الجمعة في مجلس على شيخ يختارونه ، و يصف العقباني ما يحدث فيها فيقول :« ...يجلس هذا الشيخ على يمين الداخل لمجلسهم ، يسبحون و يهللون... ثم ينتقلون للصلاة و السلام على رسول الله، ثم يختمون ذلك بالسلام على سائر المسلمين و الحمد لله ، ثم يقرأ منشدهم شيئا من كتاب الله... فيصلون ... ثم يذكرون بعد ذلك أنواعا من الأذكار...و الدعاء و الاستغفار...»[4]،يعد هذا الوصف الذي ذكره الإمام سعيد العقباني مهما لأنه يعطي لنا صورة واضحة عن نشاط هذه الزوايا في المجال التعليمي و إن انحصر في الجانب الديني فقط .

4-المكتبات:

أعطى حكام بني زيان عناية كبرى لإنشاء المكتبات العامة و تزويدها بالكتب الضرورية لكي تؤدي مهمتها التعليمية، حيث ظهرت أسواقا للكتب و المكتبات العامة و الخاصة[5]، و من مظاهر اهتمام حكام تلمسان بالمكتبات، العمل على إنشائها و كان ذلك داخل المساجد و المدارس[6] ،و منها : المكتبة التي أنشأها الحكام أبو حمو موسى الثاني داخل المسجد الكبير سنة 760 هـ، «أمر بعمل هذه الخزانة المباركة مولانا السلطان أبو حمو ابن الأمراء الراشدين أيد الله أمره و أغر بصره و نفعه كما وصل ونوى و جعله من أهل التقوى و كان الفراغ من عملها في يوم الخميس ثالث عشر

[1] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص122

[2] التنسي : المصدر السابق ، ص179.

[3] التنسي: المصدر نفسه، ص248.

[4] الونشريسي : المصدر السابق ،ج11، ص48-49.

[5] كمال مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب من خلال نوازل و فتاوى المعيار للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 122،1996.

[6] محمد بوشقيف : تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2011، ص69.

ذي القعدة من عام 760 هـ»[1]، كما احتوت مدارس مدينة تلمسان العديد من المكتبات و خاصة مكتبة مدرسة أولاد الإمام[2].

1-المدارس:

إن المؤسسات التعليمية من العوامل الهامة التي أثرت في الحياة العلمية في المغرب الإسلامي ، فكان لابد أن تعرف تطورا عبر الأزمنة لتواكب تطور العلوم وإقبال العلماء عليها، فمن المؤسسات الجامعة للدور التعليمي و غيره الديني و الاجتماعي نجد المساجد و الزوايا إلى مؤسسة تعليمية نظامية عرفت أهمية كبيرة و دور تربوي تعليمي متميز ألا وهي المدارس.

المدرسة هو مكان تلقى فيه الدروس، إن المدرسة مؤسسة تعليمية جديدة ظهرت في المشرق خلال القرن خامس هجري[3]، عرف هذا النوع من المرافق ،التعليمية لأول مرة في مدينة نيسابور وذلك بتشييد المدرسة البيهقية في أوائل القرن الخامس هجري، لكن مع هذا أجمعت الدراسات التاريخية أن الإنشاء الحقيقي للمدارس و اهتمام الدولة بها لم يكن إلا على يد الوزير السلجوقي " نظام الملك " الذي بني المدرسة النظامية ببغداد .

أما عن ظهورها في بلاد المغرب الإسلامي ، فكان في بداية القرن السابع هجري / ثالث عشر ميلادي ، و كان ذلك في عهد السلطان الحفصي أبو زكريا(647 هـ / 1249 م) قد أنشأ أول مدرسة بالمغرب الأدنى عرفت بالمدرسة الشماعية ، و كان ذلك فيما بين سنتي(633 - 647 هـ / 1235-1245 م) ، أما في المغرب الأقصى فتزامن ظهور المدارس بقيام الدولة المرينية و كانت أول مدرسة شيدت في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق(657هـ -1258/ 685هـ-1286) سميت الصفارين ، و كان ذلك حوالي سنة(670 هـ / 1271 م) و تلاها تشييد مدارس أخرى [4]

[1] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص183.

[2] محمد بوشقيف: المرجع السابق ، ص70.

[3] الحسين أسكان : المرجع السابق ، ص56.

[4] محمد بوشقيف : "المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال الرنين 8هـ -9هـ/ 14-15)" دورية كان التاريخية ، العدد الحادي عشر ، 2011، ص58.

أما في المغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية القرن الثامن هجري / الرابع عشرميلادي حين قلد بنو زيان حكام بني مرين في تشييد المدارس و الاعتناء بها ، فسعى بنو زيان من وراء بناء المدارس في مختلف مدن المغرب الأوسط إلى توجيه الرعية التعليم فيها المذهب المالكي من أجل وحدة السياسة المذهبية [1]، و من المدارس التي ذاع صيتها في تلمسان الزيانية ، و استثنينا ذكر المدارس التي شيدهابنو مرين في تلمسان .

أ–مدرسة ولدي الإمام

كانت نشأتها على يد السلطان أبي حمو موسى الأول ، وعرفت باسم مدرسة الأخوين ابني الإمام وذلك سنة 710هـ /1310م ، فقد أنشاها تكريما للعالمين الجليلين الفقيهين لأبي زيد عبد الرحمن [2] و أخيه أبي موسى عيسى [3]ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمدبن الإمام و اللذان دخلا تلمسان في عهد هذا السلطان فأكرمهما[4] و يقول التنسي عنظروف و هدف تأسيسها : " ... كان محبا للعلم و أهله معتنيا به قائما لحقه ، ابتنى مدرسة لابني الإمام تكريما لهما و احتفاء بهما " [5] ،وفي إشارة إلى المدرسة يقول ابن مريم" و بنيت المدرسة داخل باب كشوط "[6]و لما كانت مدرسة أولاد الإمام هي

[1]صالح بن قربة : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007،ص140.

[2]أبي زيد عبد الرحمن : هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البرشكي التلمساني الشهير بابن الإمام أكبر الأخوين لابني الإمام الفقيه الخطيب محمد بن عبد الله التلمساني(ت 743 هـ) يحي ابن خلدون: المصدر السابق ، ص 20 ؛ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء (.و العلماء من تلمسان ، مراجعة محمد ابن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 2408 ، ص 223

[3] هو أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله البرشكي التلمساني الشهير بابن الإمام ، أخو عبد الرحمن) بن محمد)ت 748 هـ(.) يحي ابن خلدون ، ص 23

[4] 3 (Lachachi Amira , « Médersas Mérinides : Al Bou Inaniyya de Fès sidi Boumediene de Tlemcen-Etude comparative ,Mémoire pour l'obtention du diplôme de magistère spécialité archéologie du Maghreb islamique , université Abou bekrbelkaid ,Tlemcen ,2013-2014,p42

[5]التنسي : المصدر السابق ، ص139

[6] ابن مريم : نفسه، ص 126.

أول مؤسسة تربوية ثقافية في حاضرة الدولة الزيانية ، فقد عين الحاكم للتدريس بها كبار العلماء من أمثال التلمسانيان ابني الإمام و شيخا المالكية فضلاء المغرب في وقتهما [1].

ب – المدرسة التاشفينية :

تعد المدرسة التاشفينية ثاني مؤسسة تعليمية زيانية أسست في بلاد المغرب الأوسط بناها أبو تاشفين عبد الرحمن الأول،(718-737هـ/1318-1337)،الذي خلد أثارا عديدة ، حيث كان مولعا بالبناء و التشييد ، و يقول التنسي عن مآثر الحاكم: «و حسن ذلك كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظير ، التي بناها بإزاء الجامع الأعظم»[2]، تم تدشينها في شهر صفر سنة (765 هـ / 1364 م) [3]. و تقع التاشفينية بإزاء المسجد الجامعجنوبا و هي بذلك توجد في مجال يعتبر النواة الأولى بعد جامع أغادير الذي أسسه إدريس الأول خلال النصف الثاني من القرن الثاني هجري[4]،ظلت هذه المدرسة التي كانت تعد من أجمل مدارس المغرب الأوسط تؤدي رسالتهاالتعليمية و الثقافية طوال فترة الدولة الزيانية .

من بين المصادر القليلة التي أشارت إلى التاشفينية و تغنت بها ، نذكر كتاب نفح الطيب للمقري الذي ضمن بعض الأبيات الشعرية التي آ رها منقوشة بأعلى دائرة مجرى الماء، فيقول : " رأيت مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء في مدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني و هي من بدائع الدنيا :

أنظر بعينك بهجتي و سنائي و بديع إتقاني و حسن بنائي
وبديع شكلي و اعتبر فيها ترى من نشأتي بل من تدفق مائي
جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضة البيضاء

[1] التنبكتي : المصدر السابق ، ص247.
[2] التنسي : المصدر السابق ، ص141.
[3] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص181.
[4] صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص 144. [3]

قد حف بي أزهار و شيء نمقت فغدت كمثل الروض غب سماء[1]اهتم الحاكم " عبد الرحمن أبو تاشفين " اهتماما بالغا بهذا المعلم الحضاري من خلال جلب إليه العلماء الأجلاء أمثال أبي موسى عمران المشدالي[2] الذي كان من أكبر فقهاء المالكيين في عصره ، الذي ولاه التدريس بمدرسته الجديدة [3]غير أن هذه المدرسة طمست أثارها و لم يبقى من ذكرها إلا الاسم، و قد كانت هذه المدرسة قائمة محافظة على شكلها لغاية 1873 م ، عندما قامت السلطات الاستعماريةبإزالتها [4]

ج – المدرسة اليعقوبية:

أسسها الحاكم الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1358-1388م)، تخليدا لوالده أبي يعقوب الذي أدركته الوفاة ،(763 هـ / 1362 م) و كان أبو حمو الثاني قد أمر بدفن أبيه في باب إيلان ثم نقل إلى جواره أخويه السلطانين " أبي سعيد و أبي ثابت "اللذان توليا حكم تلمسان في الفترة السابقة [5] فجاءت هذه المدرسة لتخلد أسماء العلماء و الحكام و لتدل على مكانة علمية و فكرية ا رقية في تلك الفترة .و قدم للتدريس فيها العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني [6] ، الذي كان بارعا في إلقاء الدروس حتى أن أبو حمو كان يحضر مجلس إلقاءه جالسا على الحصير

[1] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس دار صادر ،1988، ج6، ص47.

[2] أبو عمران المشدالي:(ت 742 هـ- 2344 م) من كبار الفقهاء و أخيار العلماء الصلحاء ، من زواوة وقصد تلمسان ، وقيل انه لم يكن في عصره احد مثله علما بمذهب الامام مالك ،وحفظا لاقوال الصحابة وعرفا بنوازل الاحكام ، وصوابا في الفتوى ، التنبكتي :المصدر السابق ،ص217

[3]التنسي : المصدر السابق ، ص141.

[4] صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص 246

[5]التنسي : المصدر السابق ، ص.179

[6] الشريف الحسني : أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني ، من أكابر علماء تلمسان و المغرب الإسلامي ، ولد حوالي سنة 720 هـ/ 2320 م بتلمسان و أخذ العلم بها عن جملة من علمائها كابني الامام ،ابوموسى عمران المشدالي، كان له مكانة كبيرة عند ملوكه عصره كابي حمو موسى الثاني ، هذا الاخير الذي اكرمه وزوجه احدى بناته وعينه مدرسا بالمدرسة اليعقوبية، توفي 771هـ/ 1369م

إكراما للعلم[1]،لقد فقدت هذه المدرسة الكثير من ملامحها، و لم يبقى منها إلا مسجدا سمي فيما بعد "بجامع سيدي إبراهيم المصمودي " المتوفى سنة (804 هـ / 1402 م)[2]

المبحث الرابع: أهم العلوم و العلماء

يعتبر العصر الزياني بتلمسان من أزهى العصور الثقافية في المغرب الأوسط ، مماختص به هذا العصر من نشاط علمي و فكري منقطع النظير ، إذ يعد من أخصب عهودهابأسماء المثقفين و العلماء و المؤلفات و عن أهم العلوم المتداولة في العهد الزياني مع ذكرأهم روادها الذين نبغوا فيها نجد

أولا – العلوم النقلية :

فقد وجه علماء تلمسان جل اهتمامهم للعلوم الدينية، و في مقدمتها الفقه و علوم التفسير و الحديث.

أ –التفسير:

هو من العلوم الدينية الذي لاقى اهتماما واسعا من علماء أهل تلمسان لقيمته الكبيرة، فهو علم يشتمل على معرفة و فهم كتاب الله المنزل على نبينا محمد (ص) ، و بيان معانيهو استخراج أحكامه و حكمه [3]عرف العلماء المغاربة طريقتين ذكرها ابن خلدون لتفسير الق آ رن الكريم فتحدث عن التفسير المأثور و يستند إلى الآثار المنقولة عن النبي (ص) و السلف ، و هناك من المفسرين من يرتكز على الرأي و الاجتهاد [4]، و العمل بهذا يراه ابن مريم من أصعب الأمور و يقول عن من يفسر القران كأنه شهد التنزيل ، و يضيف أن الرسول) ص(لم يكن يفسر من القرآن إلا آيات ، معدودة[5]،و من هنا يتجلى لنا ما مدى صعوبة تفسير القرآن أما عن أهم مؤلفات تفاسير المتداولة في

[1] التنسي : المصدر السابق ، ص 180.

[2] عبد الحميد حاجبات : المرجع السابق ، ص182.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1، ص533.

[4] ابن خلدون : المصدر نفسه : ص554

[5] ابن مريم : المصدر السابق ، ص219.

بلاد المغرب الإسلامي و التي أخذ عنها علماء تلمسان تفسير لابن عطية الأندلسي [1](546هـ / 1154 م) من المتأخرين في الغرب ، الإسلامي ، فلخص التفاسير كلها و جمعه في كتاب سماه " المحرز الوجيز في شرح كتاب الله العزيز " و كذلك اشتهر في التفسير كتاب " الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل " لأبي القاسم عمر الزمخشري[2]،(538 هـ / 1144 م) [3]

اهتم أهل تلمسان ، كغيرهم من المسلمين بتفسير القرآن بأنه المصدر الأول لتشريعهمفدرس الفقهاء و العلماء تفسير القرآن في المدارس و المساجد بعاصمة بني زيان ، و من أهم المفسرين التلمسانيين :

برز أبو عبد الله التلمساني في علم التفسير ، حيث مارس هذا العلم أكثر من خمسة و عشرين سنة ، إذ كان أبو عبد الله يفسر كل يوم ربع حزب من الق آ رن الكريم ، فأبدع في ذلك [4]، و من بين المفسرين المشهورين ، الشيخ أعلم الناس في وقته بالتفسير أحمد بن زاغو(845 هـ / 1442 م) هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني ، مفسر و محدث أصولي ، من أهل تلمسان درس في المدرسة اليعقوبية ، من أهم مؤلفاته في علم التفسير " مقدمة في تفسير القرآن العظيم " و فسر كذلك " سورة الفاتحة " تفسيرا في غاية الحسن كثير الفوائد [5]،ووصفه القلصادي الذي قرأ عليه ، "

---

[1] هو الإمام أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن غالب ت(482 هـ) ، أحد علماء أهل الأندلس الجامعين للفقه و الحديث و التفسير و الأدب (حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون ، .دار إحياء التراث العربي ، بير وت ، مج 1 ، ص 439)

[2] ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري:(ت538) الإمام العلامة جار الله من أهل خوارزم العراق و مؤلفه "كتاب الكشاف" من أخل الاعتزاز (نفسه ، مج2، ص1475

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1،ص555.

[4] محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الج ا زئر1906 ، ص 115 ؛ القاسمي البختاوي : "من أعلام تلمسان : أبو عبد الله الشريف التلمساني .(716هـ-771هـ/1316 -1370م) ، دورية كان التاريخية ،العدد 18، 2012، ص20

[5] التنبكتي : المصدر السابق ، ص 119؛ ابن مريم : المصدر السابق ، ص 41 ؛ القلصادي : المصدر السابق ، ص 102؛ عادل نويهض : معجم أعلام الج ا زئر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت1980 ، ط2،ص 156

بأنه أعلم الناس في وقته بالتفسير و أفصحهم [1]،كذلك سعيد بن محمد العقباني التلمساني (811هـ / 1408 م) الإمام العالم الفاضل ، فقيه مذهب مالك متفنن في العلوم ، سمع من إبني الإمام و له عدة تآليف ، أما عن إجتهاده في علم التفسير فيذكر ابن مريم أن له تفسير سورة الفاتحة و الأنعام و أتى فيهما بفوائد جليلة [2] ، و من العلماء الذين اهتموا بالتفسير محمد بن عبد الكريم المغيلي ، نشأ بتلمسان و أخذ عن علمائها (ت 909 هـ / 1503م) ، له تفسير سورة الفاتحة كما ألف كتابا أخرفي علوم التفسير عنوانه " الندر المنير في علوم التفسير " [3].

ب – علم الحديث :

و لعلم الحديث أهمية كبيرة في الدين الإسلامي ، و قد اهتم به علماء المغرب الأوسط في عهد بني زيان ، و ذلك جراء اهتمامهم الكبير بسنة النبي (ص) .و لدراسة الحديث و علومه ، انصب اهتمام التلمسانيين في هذا المجال على عدة كتب،أهمها : الموطأ للإمام مالك ت (179 هـ) ، صحيح البخاري لأبي عبد الله البخاري ت(265 هـ / 870 م) ، صحيح مسلم بن الحجاج ت (261 هـ / 857 م)[4]، و قد برز العديد من علماء المغرب الأوسط بتلمسان في علم الحديث منهم

أبو إسحاق التنسي : (ت 899هـ)، إبراهيم بن يخلف أصله من تنس و استوطن تلمسان بعدما ألح عليه السلطان يغموراسن ، و كان من كبار علماء المغرب الإسلامي ، ترد عليه الأسئلة من مختلف الأقطار ، و قد قام بتدريس الحديث و غيرها من العلوم بتلمسان ، فانتفع به خلق كثير ، أطلق عليه لقب الحافظ [5].

---

[1] القلصادي :المصدر السابق، ص103.

[2] ابن مريم :المصدر نفسه ، ص 206 ؛ برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة و تحقيق مأمون بن يحي الدين الحنان ، دار الكتب العلمية ، ط1 .ج1،1996 ، ص 394

[3] ابن مريم : المصدر نفسه ، ص253-255، عبد الحميد حاجيات :"الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان " مجلة الاصالة ،العدد 26، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،تلمسان ، 2011، ص148.

[4] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2،441.

[5] التنبكتي : المصدر السابق ، ص573، ابن مريم :المصدر السابق ، ص67، التنسي :المصدر السابق ،ص11. [2]

ابن مرزوق الحفيد : (ت 842 هـ) ، محمد بن أبي بكر بن عبد الله العجيسي التلمساني له مؤلفات عديدة في علم الحديث أهمها " كتاب أنوار الدراري في مكررا ت البخاري " [1]، و له شرح لكتاب الجامع الصحيح للبخاري أسماه " المتجر الربيح و المسعى الرجيح و المرحب الفسيح " [2]، كما كان للشيخ عبد الكريم المغيلي ، دراية بهذا العلم فألف فيه " كتاب مفتاح النظر في علم كما كان للشيخ عبد الكريم المغيلي ، دراية بهذا العلم فألف فيه " كتاب مفتاح النظر في علم الحديث "[3]،و ممن اشتهر في هذا العلم أيضا ، محمد بن الحسن بن مخلوف أبركان ،(ت 868 هـ1464 م) فقيه مالكي، محدث من أهل تلمسان، من أثاره " المشرع المهيأ في ضبط مشكل رجال الموطأ " و يذكر أبه لا يزال مخطوطا ، و " الزند الواري في ضبط رجال البخاري " و "فتح المبهم في ضبط رجال مسلم " و " الثاقب في لغة ابن الحاجب " و ثلاثة شروح على الشفا أكبرها في مجلدين سماها " الغنية " [4].

ج – الفقه :

إن الحديث عن الفقه في المغرب الإسلامي بضفة عامة و المغرب الأوسط بصفةخاصة يرتبط ارتباطا وثيقا بالمذهب المالكي لشيوعه في البلاد ، و ما يميز هذا العلم كثرةاهتمام العلماء التلمسانيين به و تجلى ذلك بالمؤلفات الكثيرة التي عرفت في هذا العصر . وسنحاول عرض إنتاج علماء تلمسان في علم الفقه و أهم العلماء الذين برعوا فيه:

محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ألف في هذا العلم "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"في كراسين في الفقه المالكي [5] ،و ابن مرزوق الحفيد له عدة تأليف في علم الفقه منها "أرجوزة في اختصار ألفية

[1] التنبكتي :المصدر السابق، ص507.

[2] محمد بن عبد الرحمن السخاوي :الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبو القدسي القاهرة ،ج7، ص50، عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2، ص444.

[3] التنبكتي : المصدر السابق ، ص 578.

[4] عادل نويهض : المرجع السابق ، ص14،ابن مريم : المصدر السابق ، ص220.

[5] التنبكتي :المصدر نفسه ، ص578. [3]

ابن مالك " ، و " اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة " وهو كتاب يتضمن أجوبة على مسائل في الفقه و التفسير و غيرها[1].

كما كان لمحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق ت(781 هـ / 1379 م) يعد الفقيه من كبارعلماء المالكية في عصره، من أهم مؤلفاته " إ ا زلة الحاجب عن فروع ابن الحاجب "[2]،كما ظهرت في هذه الفترة نوازل مشهورة إحداها للعالم الفقيه يحي بن أبي عم ا رن موسى بن عيسى المازوني (ت 883 هـ / 1478 م) ، بتلمسان بتأليفه لكتابه الضخم " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " و هي عبارة عن فتاوى أهل تونس بجاية و تلمسان [3].

و يعد كتاب الدرر المكنونة من أهم الدراسات الفقهية خلال القرن التاسع هجري / الخامس عشر ميلادي و تكمن أهميته باعتباره مصنف تاريخي فقهي يشمل مختلف المجالات السياسية ، اجتماعية ، ثقافية و اقتصادية في دراسة تاريخ المغرب الأوسط [4].

أحمد بن يحي بن علي الونشريسي (ت 914 هـ / 1509 م) ، الذي انكب على تدريس كتب الفقه المالكي، من أهم مؤلفاته: كتاب " المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب " و تعليق على ابن الحاجب، و كتاب " الفروع في مسائل الفقه و غيرها من المؤلفات الأخرى " [5]

د– التصوف:

يعرف ابن خلدون علم التصوف على أنه من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الإسلامية[6]،و يرجع أصله إلى الزهد و العبادة و الابتعاد عن الدنيا و ملذاتها [7]، و لا شك أن الانتشار الذي عرفته الحركة

---

[1] التنبكتي : المصدر السابق، ص507.

[2] عادل نويهض : المرجع السابق ، ص290.

[3] التنبكتي : المصدر السابق ، ص637.

[4] محمد بوشقيف: المصدر السابق ، ص152.

[5] الحفناوي : المرجع السابق ، ص62-63.

[6] عبد الرحمن ابن خلدون :المصدر السابق ، ج1، ص500.

[7] ابن خلدون: المصدر نفسه : ص500.

التصوفية في بلاد المغرب الأوسط في العصر الزياني ، لم يولد من فراغ ، إنما هو نتاج لجهود سابقة بذلت قبل هذا العصر .فإبان العهد المرابطي لم يكن يسمح لأي فن من أنواع المعرفة خارجة عن نطاق المذهب المالكي ، فلقد كان تشددهم له قد ضيق الخناق على كل مظاهر الاجتهاد بل ذهبوا أبعد من ذلك حين كفروا من خاض في علم الكلام ، كما قاموا بمطاردة الفلاسفة و أصحاب النزعات الصوفية بوصفهم لهم بالزندقة و الانحراف فلقد منعوا تداول كتب الغزالي[1]،على رأسها كتاب الإحياء الذي تم حرقه [4]،ليظهر عهد جديد تمثل في الدولة الموحدية بزعامة " ابن تومرت " ، التي كانت دعوته ترمي

إلى التجديد الديني و ما ميز هذه الفترة التفتح الفكري و تشجيع حرية التفكير و البحث و من هنا لاقت الحركة التصوفية رواجا و أتباعا في بلاد المغرب [2] ، فورثت الدولة الزيانية عن سابقتها ذلك الاهتمام و العناية بهذه الحركة فاهتم علماء تلمسان بعلم التصوف و برزوا فيه .و من أعلام التصوف في حاضرة تلمسان نذكر منهم :

محمد بن أحمد المقري الجد: الذي أكف التأليف العديدة في هذا العلم، من أهمها كتابه الشهير " الحقائق و الرقائق «، كما له كتاب آخر في التصوف بعنوان " رحلة المتبتل " و كذا كتاب " إقامة المريد "[3]،ومن شيوخ التصوف عبد الرحمن ابن زاغو ت(845 هـ) الذي وصفه ابن مريم بأنه له : " قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم و الفهم المستقيم و به يضرب المثل في الزهد و العبادة " [4]تحدثت المصادر عن حشد هائل لأسماء الزهاد و المتصوفة الذين أنجبتهم تلمسان خلال العهد الزياني . فمن الطبيعي أن ثمة أسباب وراء سرعة إنتشاره بمدينة تلمسان يأتي في مقامها الأول " سيدي أبي

[1] أبو حامد الغزالي : هو محمد بن محمد بن أحمد الغ ا زلي ، الملقب بحجة الإسلام ، ولد بمدينة طوس احدي مدن خراسان ،وكان احد العلماء الذين مارسوا التدريس في بغداد وهو صاحب المصنف المشهور "إحياء علوم الدين"، و(عبد الرحمن ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ،دار الغرب الإسلامي ، ط2 ،1992 ،ج17 ، ص124-125)

[2] أوليري دي لاس : الفكر العربي و مركزه في التاريخ ، ترجمة إسماعيل بيطار ، دار الكتب اللبناني .بيروت ، 2482 ، ص211

[3] ابن فرحون : المصدر السابق ، ج2، ص 245، عادل نويهض:المرجع السابق ، ص312

[4] ابن مريم : المصدر السابق ، ص42.

مدين " [1] ،و دفنه بها يقول المقري : " و يكفيها فخرا دفن ولي الله سيدي أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي شيخ المشايخ و سيد العارفين و قدوة السالكين " [2]، و ظل ضريحه مقصدا للزهاد و العلماء فلما مر بتلمسان محمد العبدري هاله ما رأى بهاو تحدث عن دلك في رحلته الشهيرة " و من أعظمها و أشهرها قبرا لصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله و رضي عنه و رزقنا بركته " [3]،كما كان لبعض لحكام دور في تشجيع علم التصوف ، تأثير بالغ في الحياة الفكرية والثقافية و ممن كانت لهم مشاركة في علم التصوف نذكر أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى الثاني بكتاب سماه " الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة " [4].

ثانيا : العلوم اللسانية

أ – علوم اللغة و آدابها :

حظيت اللغة العربية باهتمام واسع من العلماء التلمسانيين لارتباطها بالعلوم الأخرى خاصة الدينية فلا يمكن الخوض فيها كتفسير الق آ رن إلا إذا نبغ المفسر باللسان العربي [5]، و من هنا دأب العلماء على دراسة اللغة العربية و علومها كالنحو و الأدب الذي عرفاهتماما و إقبالا كبيرين من أهل تلمسان شعرا كان أم نثرا.

1– النثر:

عرف هذا الفن الأدبي نموا كبي ا ر خلال القرن الثامن من خلال مجموعة من الكتاب الذين ذاع صيتهم ، و من العلماء الذين برزوا في هذا المجال :

ابن الخطاب المرسي ت(688 هـ/ 1287 م) محمد بن عبد الله بن داوود بن الخطاب من أهل

[1] أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي : انظر ترجمته في ص59.

[2] المقري : المصدر السابق ،ج7،ص142

[3] العبدري : المصدر السابق ، ص28.

[4] التنسي : الممصدر السابق ،ص211.

[5] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج2،ص452.

مرسية ثم انتقل إلى غرناطة ، و هناك استعمل في الكتابة السلطانية ، بعدها قصد مدينة تلمسان و نزل على سلطانها يغم ا رسن الذي قربه إليه و جعله كاتبا له " صاحب القلم الأعلى " فصدرت عنه الكثير من الرسائل [1].

ابن خميس التلمساني ت(708 هـ / 1309 م)، هو محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري التلمساني ، المشهور بابن الخميس شاعر المائة السابعة [2]،كان من كبار الأدباء و الشعراء، و نظرا لعلمه ولاه السلطان أبو سعيد ابن يغمراسن[3] ،ديوان الإنشاء.

2 –الشعر:

من أهم الشعراء الذين عرفهم التاريخ الزياني و سنسلط الضوء عليهم و على أعمالهم نذكر :

ابن خميس التلمساني كان من كبار شعراء تلمسان ، حتى لقبه يحي بن خلدون بشاعر المائة السابعة[4]، فاق شعراء عصره ، له ديوان في الشعر إلا أنه فقد[5]،و في وصف تلمسان قالشاعرها :

تلمسان جادتك السحاب الدوالخ و أرست بواديك الرياح اللواقح[6]

و برز كذلك أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري التلمساني ولد و نشأ بتلمسان ، نبغ في فنون الأدب ، و نظم القصائد ، التي كان يلقيها في الاحتفالات الدينية التي كان يقيمها أبو حمو موسى الثاني للاحتفال بالمولد الشريف[7]،فكان الشعراء ينشدون قصائد المدحفي النبي (ص) ثم يمدحون الحكام الزيانيين ، و من قول الشاعر الثغري في هذه المناسبةمدحه للمولى أبي حمو و ولي عهده المولى أبي تاشفين قصيدة مطلعها:

---

[1] التنسي : المصدر السابق ،ص127، ابن مريم : المصدر السابق ، ص227.

[2] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ،ص118.

[3] تولى أبو سعيد الحكم بعد وفاة والده يغم ا رسن سنة 682 هـ / 2283 م ، واستمر حكمه إلى غاية 703هـ ، في عهده حصل يوسف ابن يعقوب المريني تلمسان ، و توفي أثناء الحصار) التنسي : المصدر (.السابق ، ص 230

[4] يحي ابن خلدون :المصدر نفسه ،ص118.

[5] المهدي البو عبدلي : " أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ و نبذ مجهولة من تاريخ حياة بعض أقلامها"،مجلة الأصالة ،العدد 26،منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،تلمسان ،2011 ، ص 128-129

[6] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ص465.

[7] عن طريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، انظر : التنسي ، نفسه،ص162-178.

سر المحبة بالدموع يترجم فالدمع أن تسأل فصيح أعجم[1]

كما شارك الحكام الزيانيين أيضا في نظم الشعر ، فهذا أبو حمو موسى الثاني ينظم أحسن القصائد في أغراض متباينة ،كذلك سلطان أبو زيان محمد الثاني ينظم الشعر بفصاحة بليغة[2]، و من قصائد الحاكم أبي حمو موسى الثاني بمناسبة المولد النبوي الشريف :

بمولده قد أشرق الكون كله و كل سنى شمس و بدر و درري

سلام على من بالبقيع و الحمى سلام على البدر المنير التهامي

سلام من المشتاق موسى بن يوسف على خير خلق الله هاد و مهدي[3]

ثالثا: العلوم الاجتماعية

اهتم بنو زيان بهذا النوع من العلوم على الرغم من العدد الكبير من علماء الدين الذين برزوا في تلك الفترة .

أ- التاريخ :

هو من العلوم التي لم يغفل عليها علماء تلمسان ، إذ برز الكثير منهم في هذا المجال في عهد بني زيان، و صنفوا كتبا تعد اليوم من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ بني زيان .و من أهم المؤرخين للدولة الزيانية نجد :

يحي ابن خلدون ت(780 هـ/ 1378 م)، له كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"فاهتم للتأريخ للدولة العبد الوادية ، منذ نشأتها إلى عصر المؤلف القرن الثامن هجري[4]،و يعد من المصادر الأساسية لكون صاحبه عمل كاتبا في ديوان السلطان أبي حمو موسى الثاني[5]،فكان قريبا من الأحداث التاريخية ،و كذلك العالم شمس الدين بن مرزوق الخطيب(711-781هـ/1311-1379م)، صاحب كتاب " المسند الصحيح الحسن في ذكر وآثر و محاسن مولانا أبي الحسن

[1] التنسي : المصدر السابق ، ص169.

[2] عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج2،ص463.

[3] التنسي : المصدر نفسه ، ص167-168.

[4] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2، ص467.

[5] محمد بن تاويت الطنجي: المصدر السابق ، ص98-99.

المريني" و تخللته ذكر بعض الأحداث التاريخية عن بني مرين و بني زيان[1]،"نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان" من تأليف محمد بن عبد الله التنسي ، وله مكانة كبيرة بين علماء عصره، كما كان له أيضا مكانة رفيعة في بلاط السلطان المتوكل الزياني(866-873هـ/1462-1468م)، فخصص هذا الكتاب للثناء عليه ، و ذكر شرفه و شرف بني زيان[2]،كما ألفت كتب أخرى في هذا المجال ، كتاب زهر البستان في دولة بني زيان ، لمؤلف مجهول عاصر الحاكم أبا حمو موسى الثاني ، و كتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب " لأبي عبد الله بن صعد التلمساني المتوفى سنة(901 هـ- 1495 م)[3].

رابعا : العلوم العقلية

و تعرف كذلك بالعلوم الطبيعية ، و تشمل الطب و الرياضيات و الفلك و نظرا لأهميتها قد لقيت تشجيعا من قبل حكام بني زيان من خلال تشجيع العلماء على العمل و الاختراع فاعتني بدراسة الطب و علم النجوم و غيرها ، و قد برز العديد من العلماء الذين كانت لهم مشاركة فعالة في هذه العلوم .

1- الرياضيات :

أما عن هذا العلم ، فقد اهتم به العلماء التلمسانيين و برعوا فيه و ألفوا فيه العديد من الكتب من كتب الحساب و الجبر التي كانت متداولة في بلاد المغرب الإسلامي ، واعتمد عليها العلماء التلمسانيين ، الأرجوزة الياسمينية في الجبر لأبي محمد عبد الله بن الحجاج بن الياسمين المتوفي (721هـ / 1321 م)و أعمال الحساب لأبي العباس أحمد بن البناء(ت 601 هـ / 1354 م)[4] ،و من علماء المغرب الأوسط الذين برزوا في علم الرياضيات نذكر على سبيل المثال الشيخ سعيد بن محمد العقباني التلمساني ،(ت 811 هـ / 1418 م)، و هو إمام عالم فاضل ، متفنن في العلوم ،

[1] ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص5

[2] التنسي ، المصدر السابق ،ص107

[3] عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ج2،ص468.

[4] محمود بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط القرن التاسع هجري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982، ص76.

له تأليف عديدة أما فيما يخص علم الرياضيات له " شرح الحوفي في الفرائض " و له شرح " التلخيص لابن البناء " ، و له شرح "قصيدة ابن الياسمين في الجبر و المقابلة "[1]،و ممن ساهموا في هذا العلم من خلال مؤلفاتهم محمد بن أحمد التلمساني الشهير بالحباك،(ت 867 هـ / 1463 م) ، له كتاب " تلخيص أعمال الحساب " [2] ،و " شرح تلخيص ابن البناء "[3].

كما ظهر أبو الحسن علي بن محمد القرشي القلصادي نزيل تلمسان كان نابغا في الرياضيات و الفرائض و غيرها من العلوم من تأليفه " كشف الحجاب عن قانون الحساب " ، و شرح ابن الياسمين في الجبر و المقابلة و مختصره " شرح فرائض مختصر خليل "[4].

2-علم الفلك :

اهتم العلماء المسلمين بهذا العلم منذ القدم ، لارتباطه بالأمور الدينية مثل تحديد القبلة و رؤية هلال رمضان و شوال، و لم يخرج علماء تلمسان عن المألوف ، فلقد كانت لهم إسهامات كبيرة في علم الفلك ، و ممن برزوا في هذا العلم : محمد بن النجار التلمساني ،(ت 749 هـ)، شيخ التعاليم أخذ عن أبي عبد الله الآبلي ، كان إماما في النجوم[5]، و ممن اهتموا بهذا العلم نجد محمد بن يوسف السنوسي الذي شرح قصيدة أستاذه الحباك "بغية الطلاب في علوم الإسطرلاب " و سماها " عمدة ذوي الألباب و نزهة الحلطاب في شرح بغية الطلاب في علم الإسطرلاب "[6]، أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن الفحام أخذ عن أبي عبيد الله بن النجار اشتهربصنع المنجانة التي تزين بها قصر أبي حمو الثاني .

[1] ابن فرحون : المصدر السابق ، ص394.

[2] عبد العزيز فيلاتلي :المرجع السابق ، ص489.

[3] عادل نويهض: المصدر السابق ،ص120.

[4] أبو عمران الشيخ وآخرون : معجم مشاهير المغاربة ، مؤسسة صونيام للنشر ، الجزائر ، ط2، ص441-443.

[5] الحفناوي : المرجع السابق ، ص553، ابن مريم : المصدر السابق ، ص153.

[6] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق، ص476.

4-الفلسفة:

اهتم الدارسون بالمنطق كواحد من أهم العلوم التي لاقت رواجا في بلاد المغرب الأوسطخاصة بعدما انتشرت كتب الفلسفة ككتاب الإحياء للغزالي، ت (505هـ / 1111 م)[1]،و تجلى اهتمام علماء المغرب الأوسط بهذا العلم من خلال المؤلفات و المختصراتو الشروح التي ألفوها .و من أشهر علماء العصر في هذا العلم نجد :

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي (ت 757 هـ / 1356 م) ، أعلم خلق الله بفنونالمعقول ، أصله من آبلة و نشأ بتلمسان و هو من شيوخ عبد الرحمن بن خلدون[2]،و ألف محمد بن عبد الكريم المغيلي عدة مؤلفات في علم المنطق منها " شرح الجملفي المنطق " و " مقدمة في المنطق " [3]

أما في علم المنطق ، فقد نبغ العالم محمد السنوسي (ت 895 هـ)، له " شرح جملالخونجي " في المنطق ،" مختصر في علم المنطق " و " شرح مختصر ابن عرفة "[4]. و اشتهر كذلك أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي (ت 865 هـ / 1460 م)، الذي كانعالما بالعلوم النقلية و العقلية ، و من مؤلفاته شرح جمل للخوانجي[5]

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2، ص477.

[2] التنبكتي : المصدر السابق ص411، ابن مريم :المصدر السابق ، ص214.

[3] عادل نويهض : المرجع السابق ، ص308، ابن مريم :المصدر نفسه ، ص237.

[4] عادل نويهض :المرجع نفسه ، ص181.

[5] جلال الدين السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، تحرير فيليب حتى ، المكتبة العلمية ، بيروت 1927، ص160.

الخاتمة

قائمة المصادر و المراجع :

-قائمة المصادر :

القرآن الكريم:

-سورة الكهف : الاية 77

-1 ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت

-2 ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، صور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972.

-3 أبي الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ، تقويم البلدان ، تصحيح رينود و البارون ماك كوكين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس 1830.

-4 ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشبياني، الكامل في التاريخ م ا رجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت ،ط1،، مجلد8، 1987

-5 ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانيةبتلمسان ، تقديم هاني سلامة ، ط 1 ، مكتبة الثقافية الدينيةّ ، مصر ،ط1، 2007.

-6 . الإدريسي ، نزهة المشتاق في اخت ا رق الأفاق ، تحقيق محمد حاج صادق ، بلجيكا ، 1983.

-7 -3 الاصبهاني عماد الدين ، خريدة القصر و جريدة العصر ، قسم شعراء المغرب ، تحقيق محمد المرزوقي و آخرون ، ط 3 ، الدار التونسية للنشر ، 1986 م .

-8 ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة ، تحقيق ، ابراهيم الأبياري دار الكتاب المصري ، ط 1 ، ج1، القاهرة.

-9 البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، 1997

-10 البغدادي اسماعيل باشا ،هدية العارفين فيلا اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ط ، ج2 ، 1955.

-11 البكري ابو عبد الله بن عبد العزيز ، المسالك والممالك ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، د.ط ، د.س

-12 البيدق ابو بكر بن علي الصنهاجي ، اخبار المهدي بن تومرت ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، د.ط ،1971

-13 التمبكتي احمد بابا ، نيل الابتهاج في تطريز الديباج ، تح ،عبد الحميد عبد الله الهرامة ،كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، ط1 ، 1989

-14 التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان ، تح وتع ، محمود اغا بو عياد ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ،د.ط ، 2011

-15 الحموي شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، مج2 ، 1977

- 16 الحميري محمد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح ، احسان عباس ،مكتبة لبنان ، بيروت ، ط1 ،1975

-17 ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله ،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، تح و تع ،احمد مختار العبادي ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، د.ط ،1964

-18ابن الخطيب ،الاحاطة في اخبار غرناطة ، تح ، محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1، ج3 ، 1975

-19 ابن جعفر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،د.ط ن د.س ،ج4

-19اغناطيوس يوليانو فيتش ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، تر ، صلاح الدين عثمان هاشم ،مر ،ايغور بلبايف ، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ن القاهرة ، د.ط ،1975

-20 الزركلي خير الدين ، الاعلام قاموس التراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط 15 ، ج7 ،2002

-21ابن خلدون عبد الرحمن ،ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر ، دار الفكر، بيروت ،مج 1. 6 ،2000

-22ابن خلدون يحي ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، الجزائر ، ج1 ، 1903

-23 انخل جنثالثبالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي . تر ،حسين مؤنس ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،د.ط ،1955

-24 الزهري ابي عبد الله محمد ابن ابي بكر ، كتاب الجغرافية ، تح ، محد الحاج صادق ،مكتبة الثقافة الدينية

-25 سحنون محمد ، اداب المتعلمين ،تح ، حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ، 1972

-26ابن خلكان ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد ،وفيات الاعيان في ابناء الزمان ، تح احسان عباس ، دار صادر ، بيروت

-27 السخاوي محمد بن عبد الرحمن ،الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، مكتبة القدسي ، القاهرة

-28 العبدري محمد البلنسي ، الرحلة المغربية ، تق ، سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ن الجزائر ، ط1 ، 2007

-29 ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،تح ، كولان وليفي بروفينسال ،دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 2007

-30 العماد الدمشقي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،مج5 ، تح عبد القادر ومحمود ارناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ،د.ط ، دس

-31 الغبريني احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح ،عادل نويهض ،منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط2 ، 1979

-32 ابن فرحون المالكي برهان الدين ابراهيم بن علي ،الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب نتح ، مامون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ،1996

-33 القاسم بن عبد الله بن الشاط ، برنامج شيوخ ابن ابي الربيع القرشي السبتي (599-688هـ)، دار الامان للنشر والتوزيع ن ط1 ، 2011

-34 القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ن تح وتقّ ، محمد بن تاويتالطنجي ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الرباط

-35 السيوطي جلال الدين ، نظم العقبان في اعيان الاعيان ، تح ، فيليب حتي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1987

-36 المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب من فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين ، تح ، محمدسعيد العريان ، مطبعة لندن ، 1881

-37 القزويني ،اثار البلاد واخبار العباد ن ، دار صادر بيروت

-38 ابن مريم ابو عبد الله محمد بن محمد ابن احمد ، البستان في ذكر الاولياء و العلماء من تلمسان ، مر ، محمد بن ابي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908

-39 مقديش محمود ، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار،تح:علي الزواري ومحمود محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ،لبنان ،ط1 ،1988م.

40-المقري احمد بن محمد :نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ،تح،احسان عباس ، مج6 ،دار صادر ،بيروت ،1988م.

41-مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار،تح،سعد زغلول ،دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق، دط،دس.

42-مجهول :بلغة الامنية ومقصد اللبيب في من كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب تح ،عبد الوهاب ابن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ،دط،1984م.

43-الوزان :حسن أحمد بن محمد الفاسي ، وصف افريقيا ،تر ،عبد الرحمن حميدة ، مراجعة علي عبد الواحد ، السعودية

44- ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ،دط ،دس .

45- الونشريسي ، ابي العباس أحمد بن يحي ، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والاندلس والمغرب،ج13 ،اشراف محمد حاجي ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ، 1981م.

المراجع :

1-اسكان الحسن : تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط،المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ، الرباط،2004م

2- الاهواني :محمد فؤاد ، التربية في الاسلام ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرةّ ،1955م

3-بشار فويد، ابن خلدون ومنهجية كتابة التاريخ ، دار بالبصمات ، الجزائر ،ط1، 2014م.

4-ابن الديب عيسى ، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث ، الجزائر ،2007م

5-بنّ قربة صالح ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، المركز الوطني للدراسات والبحث ،الجزائر ،2007م

6- بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضاراتها ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرن1977م

7-بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط3 ، 2009م

8-بوعباد محمود: جوانب من الحياة في المغرب الاوسط ، القرن التاسع الهجري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982.

9- جاجي خليفة ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ن دار احياء التراث العربي ، بيروت، دط ، 1941،

10- جورج مارسي ، مدن الفن الشهيرة تلمسان ، تر،سعيد حماني ، دار النشر ، التل ، البليدة ،2004م

11- حاجيات عبد الحميد ،ابو حمو موسى الزياني ، حياته وأثره ، الشركة الوطينة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2، 1982م.

12- الحفناوي محمد :تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بيار فانتانا الشرقية ، الجزائر ، 1906م.

13- خالدي عبد الحميد : الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هوما ، الجزائر ، 2003.

14- الدراجي بوزيان، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1933.

15-زغريد هونكا : شمس العرب تسطع على الغرب ، تر، فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الجبل ، بيروت ، ط 8، 1993م

16- زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف الاسلامية .

17- ضيف شوقي ، عصر الدول والامارات ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، دس .

18- الطمار محمد ، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضرة الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م .

19- العربي اسماعيل : دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطينية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980م.

20- عمارة علاوة : دراسات في التاريخ الوسيط، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م.

21- ابو عمران الشيخ و آخرون: معجم مشاهير المغاربة ، مؤسسة صونيام للنشر ، الجزائر ، ط2،.

22- عويس عبد الحليم : دولة بني حماد ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط2، 1991م.

23- عبد الداعم عبد الله : التربية عبد التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين ، دار الملايين ، بيروت ، ط1 ، 19773م.

24- عبد القادر بوباية ، مصادر ومراجع تاريخ المغرب الاوسط :(الجزائر) خلال العصر الوسيط ، المؤسسة الوطسنة للفنون المطبعية الجزائر ، 2014م.

25-كمال مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي،مركز الاسكندرية للكتاب ، 1936م.

26- لقبال موسى ، المغرب الاسلامي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2، 1981م.

27-محمد بن تاويتالطنجي ، رحلة ابن خلدون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1 ، 2004م.

28-نسيب محمد ، زوايا العلم والقران بالجزائر ، دار الفكر ، الجزائر

29- نويهض عادل ، معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ،ط2 ن 1982.

30-الهنتاني نجم الدين ن المذهب المالكي بالمغرب الاسلامي ،تبر الزمان ،تونس ن 2004.

***الدوريات:**

1-بختاوي القاسمي ، من اعلام تلمسان ،ابو عبد الله الشريف التلمساني (716هـ-771هـ/1316م-1370م)، دورية كان التاريخية ، العدد،18 ، 2012

2-بورويبة رشيد ، جولة حول مساجد تلمسان ، مجلة الاصالة ، العدد ،26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف تلمسان ،العدد ،26 ، 2011.

1-بوشقيف محمد ، المدرسة والنظام التعليمي بالمغرب الاوسط خلال القرنين 8هـ-9هـ/14م-15م ، دورية كان التاريخية ، العدد 11 ،2011.

4-بوعبدلي مهدي :اهم الاحداث الفكرية في تلمسان عبر التاريخ ، مجلة الاصالة .

5- حاجيات عبد الحميد : الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان ن مجلة الاصالة ، تلمسان ،العدد 26، 2011.

6-محمدي محمد: المساجدوالزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي ،حوليات التراث ، جامعة مستغانم ن العدد 13 ، 2013.

7-صالح الحمارنة :من هو مؤلف الروض المعطار في خبر الاقطار ، مجلة المؤرخ ، الاردن ، العدد7.

قائمة المحتويات

-كلمة شكر .

- اهداء .

- مقدمة (أ- هـ)

- الفصل الاول : الحميري وكتابه الروض المعطار .

-المبحث الاول : حياة الحميري 06

- المبحث الثاني : مكانته العلمية 08

-المبحث الثالث :الروض المعطار وقيمته العلمية.....12

- الفصل الثاني :الحياة الثقافية في بحاية الحمادية

- المبحث الاول : لمحة جغرافية وتاريخية عن بجاية الحمادية.....22

- المبحث الثاني :دور الحكام الحماديين في الحركة الفكرية.....32

- المبحث الثالث : المراكز العلمية 36

- المبحث الرابع :العلوم والعلماء.....42

-الفصل الثالث : الحياة الثقافية في تلمسان الزيانية

-المبحث الاول : لمحة جغرافية وتاريخية لتلمسان الزيانية 65

- المبحث الثاني :دور الحكام الزيانيين في الحياة الفكرية 72

– المبحث الثالث : المراكز التعليمية 72

–المبحث الرابع :العلوم والعلماء 82

– الخاتمة 100

– قائمة المصادر والمراجع.....102